لاقاتل
في دار الحطاب

مجموعة قصصية

كريم فرّاج

دار روعة للطبع والنشر والتوزيع

"لا قاتل في دار الحطاب"
مجموعة قصصية
كريم فرّاج

دار "روعة" للطبع والنشر والتوزيع
هاتف/ **01140178144**
darrawaa@yahoo.com

الطبعة الأولى/ **2012**
رقم الإيداع **14553/ 2012**
الترقيم الدولى:
٩٧٨-٩٧٧-٦٤١١-٠٣-٩

لاقاتل في دار الحطاب

مجموعة قصصية

إهداء/

إلى والدي – رحمه الله –
والدتي
إخوتي ...
أبلة (أمل) أول من رأى فيّ الموهبة
إلى من سمعوا حكاياتي الأولى ...
إلى جماعة "مغامير" بشكلٍ عام ...
إلى قصاصي الجماعة بشكلٍ خاص ...
وبشكل شديد الخصوصية إلى (مروة تميم – وليد خطاب – عارف فكري – باسم المليجي – طارق رمضان – هدى فايق – دينا الحصي – محمد سيد – أحمد الحضري)
وبالطبع إلى ناشرتي "هبة الشرقاوي" – وأمري إلى الله –

كريم فراج

المحتويات

برنس الليالي
(King Of Nothing)

"كانوا بيقولوا لما تروح تاكل مع الشيطان خد معاك معلقة طويلة... أنا بحب آكل معاه بإيدي..".

الشخصيات حسب النهاية:

برنس الليالي: هو (برنس الليالي)؛ قوّاد.. غريب الأطوار.. يمشي راقصًا.. يغني في كثير من الأحيان.. رشيق.. خفيف الظل. يحاول أن يلعب لعبة كبيرة وخطرة. ويحاول أن يقابل حبيبته –عبر الـ(**face book**)– فريدة.

الراوي: هو مساعد وتلميذ (البرنس).. ما زال في مرحلة (البوب الصغنن) كما يطلق عليه البرنس.. ذكي ومجتهد.. لكن أسرته تمر بضائقة مالية مما يجعله يشارك البرنس في لعبته، بينما يحاول أن يلعبها لصالحه.

خليل النجار: هو والد (البوب الصغنن).. شخصيته أقرب لشخصية عماد حمدي في فيلم سائق الأتوبيس.. حتى مهنته مقتبسة من مهنته في الفيلم؛ ينتظر أن يأتي الفرج على يد ابنه.

الشيخ حمد: شخصية مفتعلة مكررة للثريّ العربي؛ العربيد بالمناسبة.. أحد زبائن البرنس، والذي سيكون ضحية لعبة البرنس وعصابته.

فريدة: حبيبة البرنس الحالية... نقابلها من خلال تفاعلها مع البرنس عبر الـ(**face book**).. شخصية رقيقة.. جميلة.. سنحاول أن نحبها عبر الأحداث.. لكنها لن تقابل البرنس لسبب تافه جدًا.

الشيخ عزام: هو دجال أو ساحر.. مغربي الأصل.. يستخدمه البرنس

للعثور على مادة سرية ما.. بينما يوهمون الجميع بأنهم يبحثون عن الزئبق الأحمر.

سمسم الأمين: صديق البرنس الخائن الذي سرق منه حبيبته القديمة.. ورغم ذلك سيحضر البرنس عرسهم.

سوسو القديمة: حبيبة البرنس القديمة.. تفضل عليه (سمسم) لأسباب تافهة.. بينما يحاول عقل البرنس الباطن تحميلها وزر شره.

سوسو الجديدة: هي أكثر من شخصية في الواقع، تحمل نفس الاسم الرمزي.... وكلهن بضاعة البرنس... وإحداهن ستشارك البرنس في لعبته.

الأحداث:

تدور في يوم واحد، وليلة طويلة، من خلال أحداث يوم عادي للبرنس، مع استعادة لذكريات سابقة (فلاش باك).. أثناء اليوم، يذهب البرنس وتابعه (البوب الصغنن) للملهى الليلي، حيث وكر (البرنس)، ثم الذهاب سريعًا لضاحية قريبة من الجيزة (لن يذكر اسمها).. ويأتي موعد مقابلة المنتظرة مع فريدة، ولكنها لا تأتي.. ثم الذهاب سريعًا –بينما تبدأ اللعبة– إلى فرح حبيبته القديمة وحبيبها الخائن، حيث يرقص البرنس معه... ثم عودة سريعة لإكمال اللعبة، حيث يبيعون الزئبق الأحمر المزعوم للشيخ حمد.. ومن ثم يقوم (البوب الصغنن) بخداع البرنس ويأخذ هو المال.. وتنتهي القصة بمعرفة من هو (برنس الليالي) الحقيقي.

تكنيك القصة:

يتم تقسيم القصة إلى: مشاهد، والـ(**status**) من الـ(**face book**).

نقد القصة:

هي قصة سيئة، عن ناس سيئين وسيئات.. والدليل إننا قد نتعاطف مع قوّاد. مملة في كثير من مواضعها. مسروقة في كثير من حوارها. مكشوفة من بدايتها...

الهدف أو المضمون أو الرسالة أو حتى الـ(E-mail) من القصة:

نحن لسنا كما نظنه في أنفسنا.

القصة:

مشهد ١ نهار/داخلي، منزل البرنس، بداية غير مقنعة.

"أوقات يا دنيا معاكي بعيش.. وساعات ما بفهمكيش.. وإنتي ولا فاهماني..".. بصوت فؤاد يدق جرس هاتف البرنس... أمد يدي لألتقطه، أنظر للشاشة لأعرف من المتصل.

(سوسو 42 يتصل بك).. قبل أن تصل يدي إلى كتف البرنس، ألمح ابتسامة على وجهه فأوقظه بهدوء وبدهشةٍ، أقول: "إنت بتضحك وإنت نايم يا برنس؟!!".

بعين دامعة يقول: "السعادة مش بتجي لي إلا في الأحلام".

يلتقط الهاتف مني، وبسرعة بديهة لا تُصدق يجاوبها: "لالا يا سوسو لأ.. لأ مالكيش حق.. يعني إيه ميعادها النهاردة ومش هينفع تنزلي الشغل.. ده كلام برضه؟.. طب خلاص.. ورحمة أمي اللي عمري ما حلفت بحياتها صدق.. لولا العيش والخمرة اللي طافحينها مع بعض.. مكنتش فوت الحركة دي.. بس يالا.. سماح.. سماح.. يا أهل السماح..".

يغلق الهاتف وينهض من السرير ويتراقص ويكمل الغناء: "لوم الهوا جارح.. أصل السماح.. طبع الفلاح.. يا بخت.. من إيه؟".

ينتظر الإجابة مني فلا يجدها، فيكمل: "يا بخت من حضر القطار للبرنس".

رغم أني لم أكن أضع الطبخ في حساباتي عندما بدأت كمساعد لـ(برنس الليالي).. لكن طلباته لا تُرفض.

عابثًا في هاتفه، يجلس قبالتي في المطبخ ذي الطراز الأمريكي: "تعرف ياض يا بوب يا صغنن.. النهارده يوم طويل قوي.. أنا حاسس إننا عايزين فيه 72 ساعة على الأقل..!".

أتأمل ملامحه التي لم تسيقظ كما استيقظ ذهنه، بالفعل إنه اليوم الموعود... وأنا كمساعد أتحمل دورًا كبيرًا جدًا فيما سيحدث اليوم.

"ما تشوفلنا الفيس بوك فيه إيه" قاطعًا استرسال أفكاري، أفتح (اللاب توب)، أدخل على الــ(account) الخاص بالبرنس.

"يا ترى فريدة كاتبة لي حاجة النهارده؟ الواحد حاسس إنه مدروخ... مُتعِب قوي الصيحان بدري على العصر ده..".

أنظر للشاشة، ثم أحدثه: "إنت محظوظ النهاردة يا برنس".

– "اشمعنى بقى يا بوب يا صغنن؟".

= "فريدة بعتتلك هدية، وكاتبالك كومنت.. بتقولك في الكومنت إنها متحمسة جدًا لمقابلتك النهارده... وده كمان عاملالك لينك أغنية (عصفور طل من الشباك)".

– "طب والهدية؟!".

= "تاج.. تاج شكله جميل قوي... حتى بص".

حالة من على الفيس بوك1

فريدة نادر تقول: على بالي.. على بالي.. على بالي حبيبي على بالي... وبينه وبيني سنين.

تعليقات:

برنس الليالي: السنين شوية أيام على بعض... والأيام بتعدي بُمرها قبل حلوها.

مشهد 2 نهار/خارجي.. سيارة البرنس... شقاوة.

استقل السيارة بجوار البرنس.. ينتقل بسرعة ومهارة يحسده عليها سائقي (الميكروباص).

يسألني البرنس دون اهتمام: "إزي أبوك؟! مات ولا لسه؟!".

أُجيبه: "لأ لسه... أنا حاسس إني أول ما هقدر اتحصل على الفلوس اللي محتاجها هيموت.. زي عماد حمدي في فيلم الأتوبيس".

= "بتشوف برامج المسابقات؛ زي (لعبة الحياة) و(من سيربح المليون).. والحوارات دي؟".

– "آه".

= "طب لو كسبت مليون أو نص مليون هتعمل بيهم إيه؟!".

أتنهد بحرارة قبل أن أجيبه: "هاشتري بيهم عيلة وحظ".

ينظر لي بضيق ويقول: "يا ابن الكئيبة.. بقولك إيه.. يسلم إيدين اللي نفخهم".

الجملة الأخيرة يقولها للبنت التي مررنا بجوارها، قبل أن يكمل: "بغض النظر عن الأدب وقلة الأدب.. البت حلوة.. حلوة".

– "طبب قولي يا برنس.. إنت نمت مع كام واحدة قبل...؟".

"إخرس"، يقولها بحزم عاصرًا مكابح السيارة، ويكمل: "إنت فاكرني إيه؟! كل يوم تلات بنام مع واحدة؟!".

– "أمال إيه؟".

= "لأ.. يا بوب يا صغنن... أنا بتمتع بحق الليلة الأولى بس.. بحب دايمًا أقص شريط الافتتاح.. هو مش في الجنة الحور السبعين كل يوم هتتجدد بكارتهم؟".

– "معرفش".

يعاود الإنطلاق بسيارته: "أهو أنا بقى بعمل جنتي على الأرض... شايف البت دي... إرمي عليها إفيه".

– "معرفش".

= "يا بوب قول أي حاجة".

– "مفيش في بالي حاجة".

= "أي حاجة.. قووووووووووول".

نقترب منها بالسيارة، فأقول مترددًا: "عمار يا سليكون".

يضحك البرنس بقوة، ويقبلني في وجنتي: "هو ده البوب الصغنن بتاعي".

مشهد 3 ليل/ داخلي (فلاش باك).. غرفة شحيحة الإضاءة... الرهان الأخير.

"مش البرنس اللي يخسر ده كله" يقولها وهو ينظر لمنافسه الشيخ حمد

بقرف.

= "الظاهر إن الليلة مش ليلتك يا برنس".

– "لو الليلة مش ليلتي.. تبقى مش ليلة أساسًا عشان تستعصى على برنس الليالي!".

= "قصره.. هتراهن على إيه؟! ما تبقّاش معاك فلوس".

ينزع يد (سوسو) من على كتفه: "على سوسو".

تقول سوسو بغضب: "إيه ده؟ إنت هتلعب عليا؟".

يرد عليها بثقة: "لما الرهان يبقى كبير... ما ينفعش البرنس يخسر".

في عيني (الشيخ حمد) تمتزج الرغبة بالتحدي: "لو كسبت.. سوسو هتبقى بتاعتي.. الرقيقة دي هتبقى ملكي على طول كل ما أنزل مصر".

– "اتفقنا".

= "بس لو كسبتك.. يبقى كده معرفتش تخلّص تارك القديم... فاكره؟؟"

يبدأ في خلط الأوراق، ويبتسم: "فاكر... بس مسامح".

مشهد **4** نهار/داخلي.. الكباريه... ملك غير متوج.

نترل من السيارة أمام (الكباريه) والبرنس يكمل: "خطوة خطوة.. وسلمة سلمة.. يعني إنت دلوقت بوب صغنن.. وبعد كده لازم تبقى كومبو شديد.. وبعدين تبقى اللول الكبير.. وبعد كده تبقى برنس ليلة.. ليلتين.. يعني لكل مجتهد نصيب.. العملية مش سهلة".

يدفع باب الكباريه بعنف ويهتف بمرح للعاملين: "بحبكوا يا مقرفين".

تصرخ كل الفرقة بمرح ويحييه المطرب: "العو.. العو.. العو.. العو.. الكينج.. الكينج.. الماجيكو.. الماجيكو.. تاجر السعادة والمزاج.. العو جه.. العو جه... العو جه.. العو جه.. العو جه... العو جه.. البرنس.. برنس الليااااااااااااااالي".

"ما خلاص ياض صدعت الحاجة"، يقولها البرنس بعتاب كاذب.

= "لازم التحية يا برنس.. شغل ياض الأغنية.." وناول الكريستالة

للبرنس".

يلقون له بالـــ(مايك).. فيلتقطه ويشرع في الغناء والرقص مع أعضاء الفرقة، وكل ساقطاته اللاتي يحملن نفس الاسم (سوسو).. تبهرني دومًا حيويته.. ومرحه.. وقدرته على إضفاء هذا على المحيطين به كالساحر البارع.

"تيجي كده وأنا أجي كده... دا أنا ألم عليك الدنيا وأتجنن وأعمل عو... عو عو عو"، يضحك ويلقي لهم بالـــ(مايك)، ثم يهتف: "كل السوسو تجمع لي هنا على البست".

يشرع في فحصهن واحدةً تلو الأخرى وأنا أتبعه: "الديتيلز.. الديتيلز يا بوب يا صغنن أهم ما في اللعبة.. نقطة تفوت عليك.. لون يعدي منك.. تلاقي نفسك.. هوووب... بتحضن الحيطة".

ينظر بدهشة ممزوجة بقرف إلى قدم إحدى الـــ(سوسو): "إيه ده؟!".

– "دي جزمة".

= "أنا عارف.. هو أنا قلت لك دي كالون باب؟!! عارف إنها زفت.. (يميل عليها) بس نوعها إيه؟!".

تجاوبه بخوف متردد: "باليرينا".

= "بالظبط... وإنتي عارفة إني بكرهها.. جزمة مالهاش أي تلاتين لزمة.. مش بتساعد على الــ.. على الــ.. إيه يا بوب؟".

أتدخل قائلًا: "على الإغراء يا برنس".

يشير إليّ مستحسنًا، ثم يصيح: "الفلكة يا جابر".

تصرخ سوسو: "لا لالا يا برنس حرمت".

يشير إليها لتصمت، بينما تحضر باقي الـــ(سوسو) فلكة وخرزانة يتناولها البرنس، بينما يدفعونها أرضًا، ويتعاونوا على نزع حذائها وجواربها.

يربطون قدميها في الفلكة بإحكام، بينما يسدد البرنس ضرباتٍ مؤلمة ومحكمة لباطن قدميها، وهي تتلوى من الألم، بينما يصيح هو في الجميع: "مش عايز غلط تاني من أي حد، أي لبس مخالف، أي ذوق مقرف، أي حاجة

تطفش الزباين.. مالكمش عندي إلا الكرباج يا كلاب".

حالة 2 من الفيس بوك
فريدة نادر تقول: "بحلم يعدي عليا الليل من غير عذاب ولا ويل"

مشهد 5 ليل/ داخلي (فلاش باك)، غرفة شحيحة الإضاءة، الرهان الأخير.

يقول حمد في قلق: "ورقتك الأخيرة يا برنس".

تنظر سوسو بترقب، يتلاعب البرنس بالورقة التي في يده، ولا تهتز ثقته وهو يقول: "أحلى أربع حاجات في البرنس.. حاجتين بس.. روحه الرياضية".

يلقي بورقته الخاسرة، فتصرخ سوسو، ويقفز حمد فرحًا، ويجذب سوسو ناحيته: "وكسبت أنا سوسو الرقيقة".

يهز البرنس كتفيه بما معناه (كما تقول)، يميل حمد على البرنس ويقول في شماتة: "فاشل إنت قدامي يا برنس".

يميل البرنس بدوره قائلاً بلهجة ذات مغزى: "أنا هقولك حاجة واحدة بس".

بتحدي يسأله حمد: "إيه؟".

البرنس ببساطة: "المصري بتاعك (رافعًا إبهامه لأعلى) اتحسن كتير".

يضحك حمد ويجذب سوسو ناحية الباب: "ديوني ليك مش هسددها يا برنس".

يجيبه البرنس وهو يطفئ السيجارة في كفه: "خليك فاكر.. أهم حاجة الروح الرياضية وقت الخسارة".

ملحوظة: تم إعادة كتابة المشهد الرابع لابتعاده عن السياق والحبكة؛ حيث لم يشرح البرنس خطته للبوب الصغنن.

مشهد 4 نهار/داخلي خارجي، الكباريه ومدخله، ملك غير متوج.

= "صموئيل إل جاكسون أحسن ولا ويل سميث؟".

- "ويل سميث".

= "حمار".

- "صموئيل إل جاكسون؟!".
= "جحش".
ماذا أفعل له إذن؟! يمطرني بسيلٍ من الأسئلة ونحن نقترب من (الكباريه).
= "طيب سلمى حايك ولا هال بيري؟".
- "سلمى حايك.. طبعًا".
= "غبي".
- "أمال؟ هال بيري؟!".
= "في شغلتنا دي غلط إنك تفاضل حاجة عن حاجة... إوعى تخلي ذوق الزبون واحد.. خلي بضاعتك دايمًا في عينيه حلوة.. دايمًا حسسه إن أحلى حاجة في ايديه.. وفي نفس الوقت يبقى فاهم إنه محروم من حاجة حلوة تانية... فهمت يا بوب يا صغنن؟".

أفتح له الباب وأنا أومئ برأسي إيجابًا، أمشي خلفه إلى حيث مكتبه، هي من اللحظات التي أرى ملامح الشيطان في سحنته.

ندخل غرفته، فنجد (سوسو) تجلس على مكتبه، ترتدي ثيابًا جلدية ضيقة، و(بوتًا) بكعب مرعب، يتجاور الحسن والقسوة في ملامحها... تتلاعب الابتسامة الشيطانية على ملامح (البرنس)، بينما تشير لزجاجة (شمبانيا) وجردل مليء بالثلج وتقول بتعال: "خسرت الرهان".

"البرنس مبقاش فورمة في الرهان.. عمال يخسر.. يخسر كل رهان يخشه" يقولها البرنس وهو يفرغ دلو الثلج على رأسه، وينفض رأسه بعدها، يخلع حذاءها، ويضع قدميها في الدلو. ويسكب عليها (الشمبانيا)، ويدلك بها قدميها بينما تضحك هي برقاعة، فيقول: "على رأي الأستاذ عادل أدهم.. برنسيسة.. والنعمة برنسيسة".

تشير إليّ لأحضر حقيبتها.. فأفعل.

"مش تشوف فيها إيه يا بوب يا صغنن؟" يقولها البرنس وهو يجفف قدميّ سوسو في قميصه.

أنظر إلى الحقيبة فأجد سوط ومجموعة من الحبال والسلاسل، وشموع كبيرة.

أرفع عينيّ متسائلًا، فيسعفني البرنس بالإجابة: "هي دي العدة بتاعة سوسو المفترية... الشيخ حمد ماسوشي.. والماسوشي محتاج سادية.. ومفيش أحسن من سوسو المفترية في الحتة دي.. لما تبدأ تلاعب الشيخ حمد.. بكرباجها وحبالها.. هتسيبه متكتف.. وهتروح تجيب الشنطة الحمرا.. اللي الغبي ماليها مجوهرات... وهتبدلها معاك.. بالشنطة اللي هيسيبك البودي جاردات تدخل بيها.. على أساس إن فيها الزيبق الأحمر.. وهتخرج بالشنطة التانية اللي هيكونوا فاكرين إنها الشنطة اللي فيها تمن الزيبق الأحمر... ومش هيعرفوا يتأكدوا منه عشان هو هيبقى مانعهم من مقاطعته.. هتخرج بالشنطة وهتلاقيني مستنيك في شارع جانبي.. وأبدل معاك الشنط.. عشان بفرض هما اكتشفوا اللعبة قبل ما نبعد.. يبقى هنشتتهم لما نروح في اتجاهين.. فهمت ولا نمت مني؟".

أهرش في جانب عنقي وأقول مدعيًا الثقة: "عيب عليك يا برنس دا أنا البوب الصغنن... بس معنى كده مش هنجيب له الزيبق الأحمر بقى؟!".

يصفعني صائحًا في عصبية: "اخرس يا كلب... البرنس مش حرامي.. لما البرنس يقول إنه هيجيب الزيبق الأحمر.. يبقى هيجيب الزيبق الأحمر".

يشير لسوسو: "وإنتي روحي دلوقتي.. واستني ساعة الصفر".

تهم بالانصراف، فيستوقفها: "ثانية واحدة.. معلش.. أصلي كان نفسي أبدأ العملية زي الطريق إلى إيلات".

يضع يده على كتفينا، قائلًا بخشوع: "اعتمادي على الله.. وثقتي في رجال الضفادع البشرية، ابدأ عملية علقة الكتكوت".

تنصرف سوسو، بينما تنتابه هو نوبة ضحك، أقترب منه بهدوء: "طيب يا برنس إنت عملت حساب كل حاجة، بس معملتش حساب سوسو هتخرج ازاي؟".

= "مش هتخرج.. لازم حد يدفع الفاتورة".

يقولها ويغرق في نوبة ضحك عالية.

مشهد 5 ليل/داخلي، منزل متواضع، الزيبق اللي مش أحمر قوي.

يصافح البرنس الشيخ عزام، بينما ندلف إلى هذا المنزل الريفي القابع في ضاحية من ضواحي الجيزة (لن نذكر اسمها).

ندخل جميعًا، نرى الترقب على وجوه الجميع، يميل الشيخ عزام على البرنس: "أنا استنيت لما تيجي.. وكويس إنك متأخرتش عن غروب الشمس.. أنا اتأكدت إن فيه مساخيط تحت".

أرفع قدمي فزعًا، فيضحك الجميع.. حتى الطفلة الصغيرة، يشير البرنس إلى الحفرة: "انزل يا بوب هاته من تحت".

– "مستحيل يا برنس".

تنقلب سحنة الشيطان على وجهه، ولكن يستوقفه الشيخ عزام: "ما ينفعش.. البنت دي هي اللي هتنزل".

يميل الشيخ عزام عليها.. وهو يعقد الحبل حول خاصرتها: "إوعي تبصي وراكي.. ومهما حد كلمك ما ترديش.. ولو حد حط إيديه على كتفك ماتلفتلوش".

تهز الطفلة رأسها متفهمة، فيناولها الشيخ عزام أنفاسًا متقطعة من سيجارة غريبة المنظر، ويدلي بها إلى الحفرة.

= "هو الزيبق الأحمر ده لازمته إيه يا شيخ عزام؟".

يهم بالإجابة، بينما يدوي عواء مرعب من الحفرة، يتجمد الدم في عروقي، بينما يجيب هو بهدوء: "الجن بيبقى عمره طويل جدًا.. وعجوز.. فبناخد نقطة من الزيبق الأحمر نحطها على لسانه.. عشان نعرف نفهمه".

أحاول التركيز معه، لكن صوت الصراخ كان يصم الآذان، يصبح الحبل المتراخي مشدودًا، فيشرع الشيخ عزام والبرنس في جذبه، وأنا أبتلع ريقي وخوفي بصعوبة، ينتهي الحبل، وتخرج عجوز مجعدة الملامح، وفي يدها

قارورتان، الكل من حولي يصرخ بفزع، وأشعر ببللٍ بين ساقي، وأنا أبحث عن الطفلة.

الكل يخشى الاقتراب منها، إلا البرنس الذي يقترب بهدوء موجهًا كلامه لي: "فاكر سوسو القديمة اللي حكت لك عنها قبل كده؟".

أهز رأسي ليتساقط اللعاب من فمي المفتوح، فيكمل: "هي عيبها حاجة بسيطة قوي.... إنها خدت كل حاجة حلوة وجميلة... خدت وش القفص زي ما بيقولوا... وسابت حاجات شبه أو ضل أو من ريحتها...".

يربت على رأس الطفلة العجوز، ويشير إليّ لننصرف، بينما يميل عليه الشيخ عزام: "ما تنساش ميعادنا".

بابتسامته الشيطانية يجيبه: "البرنس ما ينساش الميعاد ده بالذات".

مشهد 6 ليل/داخلي.. قاعة أفراح.. دقي يا مزيكا.... حزايني.

أدخل قاعة الأفراح، أبحث بعيني عنه حتى أجده يجلس في أحد الأركان، يدخن سيجارته، وترتسم على وجهه ملامح لم أفهم أبدًا عما تعبر.. أضع الساندوتشات على المائدة أمامه.

= "جبت لنا إيه يا بوب يا صغنن؟".

– "شوية ساندوتشات من جاد.. فول إسكندراني.. وطعمية.. وبطاطس بالجبنة.. وفول بالحمص".

يقاطعني قائلًا بشجن: "فول بالحمص؟!!".

– "مش بتحبه يا برنس؟".

= "كنت بحبه قوي.. وبقيت بَكرهه قوي".

وأنا ألتهم الطعام أسأله: "إشمعنى؟! عشان حمص بتاع الاسماعيلي؟!".

يشعل سيجارة من سيجارة ويحاول التماسك مجيبًا: "زمان أول ما عرفتها.. كانت عاملة بنت ناس قوي.. وأل إيه ياي.. مش بتاكل الفول.. وفضلت وراها لحد ما كل ما نطلب أكل نجيب أنا وهي فول بالحمص.. لدرجة إن الناس اللي معانا كانوا أول ما يشوفوا الفول بالحمص مكتوب في الطلبات..

يعرفوا إني أنا وهي هناكل.. (تبرق دمعة في عينيه) كنت مبسوط قوي إن في ولو حاجة بسيطة بتجمعنا... (ينتهد بحرارة).. بس خلاص بقى مابقاش يجيب حق المواصلات".

رغم كل هذه الذكريات الحزينة يحضر عرسها على صديقه الخائن، يقطع سؤالي التالي دخول العريس، على أنغام أغنية لـــ(كاظم الساهر) الذي يعشقه سمسم الأمين.

يهمس البرنس بغيظ من بين أسنانه: "يا دباديبي اللي هتتفقع".

يميل عليّ قائلًا: "والسؤال اللي كان بيلح عليا ومش بينيمني الليل.. ابن الوسخة ده جاب ضمير منين عشان يعمل اللي عمله.. وبالرغم من كده بيعرف ينام... نفسي أعرف مخدر ضميره بإيه؟!".

أجاوبه وأنا أحاول تجنب إغضابه: "يا برنس البني آدم ممكن يبرر لنفسه أي حاجة".

تتلاعب الابتسامة الشيطانية على شفتيه المتراقصة قبل أن يقول: "بالظبط.. في الحب زي الحرب كلنا.....".

يقطع قوله بنهوضه، ممسكًا بالمايك من فتى (الدي جي): "على فكرة أنا اللي نقيت الأغنية بتاعة الدخلة يا عريس".

يحييه سمسم الأمين بإشارة من يده، فيكمل البرنس: "مبروك يا عريس... مبروك يا عروسة.. أنا عايز اسأل سؤال واحد بس وبعدين أرجع مكاني".

يصمت جميع من في القاعة، أترك طعامي رغم جوعي ويكمل البرنس بنفس البساطة: "إنت طلعت ليه ندل يا صاحبي؟!".

ملحوظة **2** سيتم إعادة المشهد السابق لافتقاده التأثير المطلوب.

مشهد **6** ليل/داخلي.. قاعة أفراح.. دقي يا مزيكا.... حزايني.

أدخل القاعة مع البرنس، ألعق الأيس كريم الخاص بي، نجلس على مائدة بعيدة فيقول لي: "إنت عارف ما ضربتش أيس كريم معاك ليه؟".

ألعق، واسأل دون اهتمام: "ليه يا برنس؟".

= "كان مرة زمان لما كنا لسه أنا وهي مع بعض.. جت في مرة وقالت لي هات تلاتة جنيه بكرة وإنت جاي.. قلتها ليه؟.. مردتش تقولي".

- "وإشمعنى تلاتة جنيه؟! ليه مش أربعة؟ ليه مش عشرة؟".

= "كنت ساعتها بحتكم على حق المواصلات بالصدفة".

أُبعد الأيس كريم عن لساني: "للدرجة دي يا برنس؟!".

بابتسامة باهتة يسألني: "للدرجة دي إيه؟ للدرجة كنت بحبها؟".

- "لأ.. للدرجة دي كانت ملطشة معاك في الفلوس؟!".

يضحك هذه المرة؛ ضحكة تلمح فيها المرار: "إنت عارف أنا كنت بصرف على نفسي إزاي؟".

- "إزاي يا برنس؟".

= "كنت حاطط صندوق معدن على حامل وكاتب عليه تبرعوا... وفي نص الليل كنت بفتح الصندوق وأخد الفلوس.. ولاحظ إني مقلتش تبرعوا لإيه.. بس الناس كانت عايز تتبرع.. فعادي بقى.. الناس هي اللي صرفت عليا.. عشان كدة لازم أرد الجميل.. وأرفه عنهم".

يقولها ويضحك، ثم يكمل: "يا ابن الكئيبة حدفتنا بعيد عن حدوتة التلاتة جنيه".

- آه صحيح... أسف يا برنس".

= "تاني يوم جبت التلاتة جنيه وقابلتها... أتاريها كانت عايزة إننا نأكل أيس كريم من عند محل بتحبه.. فمكنتش عايزة تحرجني.. فعملت كده عشان كل واحد يدفع حسابه... المهم ساعتها قضيت أحلى ساعة ونص في حياتي".

ألمح التماسك في ملامح البرنس يهتز وهو يحكي: "ساعتها مشينا من عند شيراتون القاهرة كده.. أو يمكن من أول الفور سيزون.. تصور إنه كان ممكن من عند كوبري الجامعة... مشينا بطول الكورنيش لحد ورا مستشفى الشرطة.. كان شكلها تحفة وهي بتجري جنبي وإحنا بنعدى الشارع.. حاجة قصيرة قد كده.. طلعت لها رجلين سريعة.. أم هند.. وصلنا المحل، ودخلت

هي جابت لنا أحلى أيس كريم كلته في حياتي".

يدير وجهه الناحية الأخرى، ويمسك طرف أنفه مانعًا نفسه من البكاء: "كان أحلى أيس كريم كلته في حياتي.. ولما صباعها لمس إيدي غصب عنها وهي بتديني كوبايتي.. على قد ما كنت مكسوف..".

بدهشة بالغة أسأله: "مكسوف يا برنس؟!!".

يبتسم: "ساعتها.. آه.. كنت مكسوف بس كنت سعيد قوي.. وبعدين رحنا صلينا المغرب...".

مقاطعًا بدهشة حارقة: "صليت يا برنس؟!!".

= "معاها مكنش البرنس لسه اتولد.. المهم صلينا وروّحنا.. ومن يومها قررت إني معملش حاجتين.. إني مكلش أيس كريم أبدًا.. عشان مضيعش طعمها من بقي".

– "والحاجة التانية إن يبقى معاك فلوس كتير؟".

يهز رأسه نافيًا: "بالعكس.. قررت إني عمري ما يبقى جيبي مليان فلوس.. ولا عندي رصيد في البنك.. قررت إن البرنس يبقى هو العملة الصعبة والسهلة في حياتي".

– "عشان كده هنلعب لعبة النهارده؟".

قبل أن يجيب يدخل العروسان: حبيبة البرنس القديمة وصديقه الخائن سمسم الأمين، أميل عليه محاولًا التذاكي: "هي سوسو اسمها.. اختصار لإيه؟ سمية؟ سوسن؟ سمر؟ سارة؟".

يجاوبني وهو يراقب العروسين بتلك النظرة العجيبة: "تر".

يضحك ويندفع ليتلقط المايك بناءً على إشارة سمسم ويشرع في الغناء والرقص مع سمسم، يلتقطان (عصاتين) يحطبان بهما. يسند البرنس العصاة بين بطنيهما ويواصلان الرقص. يخرج البرنس مطواتين، ويرقص بهما. يمرر طرفي المطواتين الحاد.. على وجنتيه من أسفل عينه.. كمجرى الدموع.. فيندفع الدم منهما.

مشهد 7 ليل/خارجي.. سيارة البرنس.. ولسه بتحبه يا قلبي.. يا قلبي داك وجع بطنك.

أجلس بجوار البرنس، لا أعرف كيف أتكلم، تمتزج الدموع بالدم الناتج عن الجرح الذي أحدثه في وجنتيه.

يبكي بهيستريا، يصدم رأسه بعنف في عجلة القيادة، ينظر أمامه بغلٍّ يليق بشيطان، نظرة لو أصابت من يحقد عليه لأذابته.

يهدأ قليلًا، يشعل سيجارته، ينظر إليّ بسحنة الشيطان إياها: "إنت ما شوفتش حاجة".

لا أقوى على الإجابة؛ فيكمل: "أنا مش هقدر أروح أقابل فريدة كده... تاخد بوكيه ورد.. وتقابلها في مكان ما كنا هنتقابل... وتعتذرلها".

– "حاضر يا برنس".

أخرج من السيارة، يستوقفني: "قولها إوعي تطلعي زيهم".

مشهد 8 ليل/داخلي.. منزل البرنس.. فريدة أحلى واحدة في الدنيا... لكن.

"أوقات بتاخدي أعز الناس... وأقول نصيب وخلاص وأصبر على أحزاني"

أدخل شقة البرنس؛ لأجده يضع اللمسات الأخيرة لعشاء رومانسي، كان يجدل الشموع الحمراء بزهور حمراء، يلتفت إليّ بكل أمل، خذلته بكلماتي التالية: "معلش يا برنس.. فريدة مجتش".

ينهار على الأريكة دافنًا رأسه في كفيه، فأكمل: "هما كلهم كده".

محذرًا: "كله إلا فريدة".

يشير إلى اللاب توب: "قريت أخر استيت كتبته على الفيس بوك".

أقرأ الاستيت بعينيّ، بينما يقوله هو: "يا ريت كان حرام الفراق.. أو كان مكروه اللقا بنية رحيل".

ألمح دموع محتجزة في عينيه: "إنت عارف فريدة مجتش ليه؟".

– "عشان زي كل البنات الخاينين؟!".

= "لأ.. لإن مالهاش وجود... أنا اللي صنعتها.. واخترت لها كل حاجة..

من اسمها للاستيتس اللي بتكتبها كل يوم".

أنظر له بدهشة: "فريدة نادر.. عمرك استغربت من اسمها؟!.. فريدة عشان هي فريدة من نوعها.. ونادر عشان مالهاش وجود.. كنت لازم أصنعها أنا بإيديا.. مكنتش أقدر أتحمل فرصة فشل تانية".

أهم بالكلام، فيشير إليّ بالصمت، ويقول: "روح إنت عشان تنفذ التبادل مع سوسو.. وسيبني أنا مع فريدة".

يفتح الباب وينحنى كأنه يقبل يد إحداهن، يغير الأغنية الحزينة بأخرى راقصة، ويرقص مع فريدة الوهمية رقصة الحرمان.

كل هذا وأنا أراقبه... هل فقد عقله؟!

مشهد 9... ليل/داخلي.. غرفة نوم سمسم الأمين.. ما تزوقنيش يا ماما.. مش مستاهلة.

تنظر سوسو القديمة باستنكار إلى سمسم الأمين الجالس أمام اللاب توب: "وهو ده وقته؟ إحنا في ليلة دخلتنا".

يجيبها وهو منشغل: "بشوف كام بنت عملت كومنت على البلوج بتاعي".

– "إيه؟!!".

= "..أصلي كنت كاتب بلوجاية".

تنظر له بدهشة وهي تشرع في خلع ملابسها: "بلوج إيه وبتاع ايه؟! إنت بتتهرب مني ليه؟".

تقولها وهي تقشره من ثيابه، وهو يحاول التملص بإحراج: "أصلي.. أصلي تقريبًا".

تبتعد وهي تنظر بامتعاض لعضوه المتراخي، وأثدائه المتدلية كالنساء: "جنس تالت يعني؟ مش فاهمة".

يهز كتفيه بإحراج: "مش عارف بس.. بس.. بس إنتي ممكن تحتويني زي ما احتويتيني قبل كده.. وكنت الوحيدة اللي فهمت إن اللي فيا ده ألم مش همجية".

لأول مرة لا تستسيغ كلماته المعسولة وهو يكمل: "لو مش عايزة نكمل براحتك... في إيدك تختاري ما بين الجنس.. والحب.. تختاري إيه؟".

كان الحب الراية التي رفعتها في رفض البرنس، لكنها الآن في وضع متسائل حرج، للحظة تمنت البرنس.

- "الحب.. الحب.. اختاري الحب يا..".

تقاطعه: "أوكي.. هاختار الحب.. بس على الأقل نحاول".

تقولها وتدفعه إلى السرير.. وتقفز فوقه بجسدها الضئيل.

مشهد 10 ليل/خارجي.. من النهارده مفيش برنس.

أتلفت حولي في قلق، أخشى أن أكون راهنت على حظي أكثر من اللازم، تأتي سوسو المفترية، تناولني الحقيبة السوداء.. وأناولها ما أحمله: "أمال الشيخ حمد؟!".

تضحك برقاعة: "متكتف زي الدبيحة فوق، سلملي ع البرنس وبوسهولي من هنا ومن هناك".

ألتف لأغادر محدثًا نفسي: "يا هبلة.. البرنس هيضحي بيكي".

أدخل الشارع الجانبي حيث كان البرنس منتظرًا في سيارته المكشوفة، أضع الحقيبة في المقعد الخلفي وآخذ الأخرى.

ينطلق بسيارته مسرعًا، أعود إلى بداية الشارع وأخرج الحقيبة الحقيقية من خلف صندوق القمامة: "اشرب بقى يا برنس.. إنت اللي قلت لازم حد يدفع الفاتورة... طلعت ولا برنس ولا حاجة.. الشيخ حمد كسبك في الرهان.. سمسم اتجوز حبيبتك... وأنا سرقت فلوسك.. أنا البرنس اللي بجد".

مشهد 12 ليل/داخلي.. غرفة نوم سمسم الأمين.. ليل التنين.

لا تقوى سوسو القديمة على غلق ساقيها وهي تأخذ نفسها بصعوبة، بينما ينقل سمسم بصره بدهشةٍ بالغة بين أسفله وسوسو المتهالكة.

- "مش ممكن.. إيه ده؟.. مش قادرة أتلم على جسمي".

= "أنا برضه مش فاهم.. إنتي اتبسطتي من إيه؟".

تضربه على أثدائه: "دا إنت تنين... أمال كنت خايف من الحسد؟!".

= "أنا مش فاهم".

– "طز في البرنس.. ومين يحتاجه جنب ده؟.. كان فعلًا اختيار صح"، تقول الجملة الأخيرة في دهاليز عقلها.

مشهد 11 ليل/داخلي... مترل البوب الصغنن.. معايا ريــال.. معايا ريــال.

"معايا ريــال.. معايا ريــال.. ده مبلغ عال مهوش عبعال"، أغني وأنا أقفز على الدرج، بالرغم من تخوفي الدائم من وصولي بالنقود اللازمة متأخرًا، بوفاة والدي مثل فيلم (سواق الأتوبيس)، أدخل الشقة سعيدًا؛ لأجد الجميع واجمًا أو باكيًا، أراه جالسًا موتًا على المقعد، إنه دون شك يقلد عماد حمدي في الفيلم، أندفع نحوه قائلًا بهيستريا: "مفيش داعي لده كله الفلوس أهي".

أرفع يده لأضعها على الحقيبة: "شفتم؟! أهو مش ميت وحط إيده ع الفلوس... وهـ يقوم دلوقت نفك رهنية البيت".

أحدهم يضع يده على كتفي: "وحد الله في قلبك يا ابني.. أبوك تعيش إنت".

أدفعه بعيدًا: "لأ.. ما ممتش.. ده بيمثل.. قوم يا أبا.. إنت جاي تموت دلوقت بعد كل اللي عملته؟.. قوم.. قوم..".

أقول هذا وأنا أحركه في قوة، وبنفس القوة يدفعونني بعيدًا عنه وهم يبسملون ويحوقلون، أندفع بالحقيبة إلى نهاية حارة مسدودة، أجلس فيها دومًا حين أنهزم، أسند رأسي على الحقيبة، وأبكي بشدة..

– "وإيه فايدة الفلوس دلوقت؟".

تصلني رسالة على الموبايل من البرنس، بالتأكيد اكتشف خدعتي ويبحث عني:

"من بين كل اللي علمتهولك.. نسيت أقولك أهم حاجة في أم الليلة.. الليالي كتير.. (جزء من النص مفقود)"، لا أفهم ماذا يقصد، بالتأكيد جن تمامًا

الآن، أفتح الحقيبة وأجد الدهشة: "إيه ده أمال فين..".

تقاطعني ظلال الحراس الشخصيين للشيخ حمد وهم يقتربون بغضب ناحيتي..

قبل أن أهزم.. أريد فقط أن أفهم.

فلاشات باك سريعة لتوضيح ما حدث.

فلاش 1

"الديتيلز.. الديتيلز يا بوب يا صغنن أهم ما في اللعبة.. نقطة تفوت عليك.. لون يعدي منك.. تلاقي نفسك هووب بتحضن الحيطة".

فلاش 2

"وهتروح تجيب الشنطة الحمرا.. اللي الغبي ماليها مجوهرات... وهتبدلها معاك".

فلاش3

تأتي سوسو المفترية تناولني الحقيبة السوداء..

فلاش4

"الديتيلز.. الديتيلز يا بوب يا صغنن".

فلاش5

= "مش هتخرج.. لازم حد يدفع الفاتورة".

يقولها ويغرق في نوبة ضحك عالية.

فلاش6

ويجذب سوسو ناحيته: "وكسبت أنا سوسو الرقيقة".

فلاش7

– "بس السوسو كده كتير قوي".

= "مش مشكلة.. أهم حاجة أنا أعرفهم من بعض".

فلاش 8

(سوسو 42 يتصل بك).. قبل أن تصل يدي إلى كتف البرنس..

فلاش 9

يضحك حمد ويجذب سوسو ناحية الباب: "ديوني ليك مش هسددها يا برنس".

يجيبه البرنس وهو يطفئ السيجارة في كفه: "خليك فاكر.. أهم حاجة الروح الرياضية وقت الخسارة".

يقولها ويشير لسوسو من خلف ظهر الشيخ حمد، بالورقة التي كان في مقدوره أن يكسب بها،

فتغمز له بعينها.

فلاش10

"سوسو المفترية... الشيخ حمد ماسوشي.. والماسوشي محتاج سادية.. ومفيش أحسن من سوسو المفترية في الحتة..".

فلاش11

تقفز سوسو الرقيقة إلى جوار البرنس، بينما يجلس الشيخ عزام في المقعد الخلفي، يقبلها البرنس بينما تلقي الحقيبة للشيخ عزام:

= "سوسو المفترية لسه ملهية مع الشيخ حمد؟".

تومئ إيجابًا، فيكمل. "شفتي بقى فايدة إني زرعتك عند الشيخ حمد من زمان".

تقبله: "شفت".

= "وشفتي فايدة السوسو الكتير.. اللي محدش يعرفهم من بعض غيري".

تقبله: "شفت".

= "طيب الشيخ قرد. آآ. الشيخ عزام اللي قاعد وراتا؟".

تضحك: "شفت".

يميل على الشيخ عزام: "الفلوس وصلت أهي.. والمادة طلعناها من المقبرة... نفذ اللي اتفقنا عليه؟".

يميل عليه الشيخ عزام بدوره: "إنت متأكد من كدة؟!".

بخوف تسأل سوسو: "هو هيعمل إيه بالظبط؟".
يجاوبها الشيخ عزام: "بالمادة دي وبمساعدة الجن.. هيقدر البرنس إنه يتلبس جسم صاحبه الخاين.. وينام مع حبيبته".
بدهشة تقول سوسو: "إيه؟ هو ده ممكن؟".
يجيبها الشيخ عزام: "في عالمي أنا ممكن... بس لكل حاجة تمن".
بقلق تسأله: "اللي هو إيه؟".
عزام: "إن البرنس مش هيقدر يمارس الجنس تاني.. لإن عضوه هيتحرق".
تنظر سوسو بدهشة للبرنس الناظر أمامه في حزن، والخط الدامي بطول وجنتيه يبكي، تسأله مستنكرة: "وليه ده كله.. تضحي بكل ده عشان خاطر ليلة؟!!".
يلتفت إليها لتلمح الدمع في قلبه: "عشان خاطر ساعة واحدة".

فلاش 12

لا تقوى سوسو القديمة على غلق ساقيها وهي تأخذ نفسها بصعوبة، بينما ينقل سمسم بصره بدهشة بالغة بين أسفله وسوسو المتهالكة.

فلاش 13

"هكون معاهم في كل حضن.. وكل همسة.. وكل أنفاس مقطوعة.. وكل شهوة توصل لأعلى جبل في خيالها".

فلاش 14

تفزع، عندما ترى تموج وجه البرنس بين ثنايا وجه سمسم الأمين.

فلاش 15

رغم صراخه من الألم.. رغم الدخان المتصاعد من بين ساقيه.. رغم الدمع المنساب على وجنتيه، كان البرنس يبتسم.
عودة من الفلاش باك... للبوب الصغنن.
المشهد الأخير ليل/خارجي.. حارة سد.. برنس الليالي.
يقترب حراس الشيخ حمد مني، بينما تكتمل الرسالة، ومن بين ضرباهم

الموجعة ألمح بقيتها:

"من بين كل اللي علمتهولك.. نسيت أقولك أهم حاجة في أم الليلة..
الليالي كتير.. بس ليها برنس واحد بس.. برنس الليالي".

نوفمبر 2009 حتى 02 يونيو 2010

حكايات ما قبل الموت

"لو كنت بتسمع كلامي ده... يبقى لقيت أو سرقت تليفوني.... فياريت الحاجات اللي سمعتها تخليها سر بيني وبينك".

* * *

يضع (أمير) قليلًا من السم على حبة الطماطم ويضعها أمام باب شقته.

* * *

يترجل (أمير) عن سيارته (الفيات **128**) أمام المصنع القديم الذي كان والده يعمل به، يحاول اختراق أجساد العمال المعتصمين منذ أسابيع، معرفة البعض به سهلت عليه المرور، بينما عيناه تتفحصان الوجوه واللافتات التي رفعوا بعضها واستراح بعضها على الجدار بينما افترش البعض عليها، تتلقفه أذرع وابتسامة (سالم) صديق والده: "أهلًا يا غالي يا ابن الغالي".

يعانقه (أمير) بينما تتلفت عيناه كعادته فيما حوله: "إزيك إنت يا عم (سالم)؟".

– "أهو زي ما أنت شايف... ورا ولاد الكلب دول لحد ما ناخد حقنا أو ياخدوا هما روحنا".

= "روحكم؟!! مفيش داعي للكلام الكبير ده".

– "إنت أدرى يا (أمير).. إنت المحامي".

= "طالما أنا المحامي... يبقى ياريت تسمع كلامي.. تعال نتمشى شوية".

يشرعان في التمشية، يبتسم (سالم) ويقول: "دايمًا بتحب تعدي على ورشة الأسطى شريف الله يرحمه".

يردد (أمير): "الله يرحمه".

= "فاكر لما كنت صغير.. وخدتك على رجلي وأنا سايق الكلارك؟ وخليتك تمسك إنت العجلة؟".

بابتسامة صفراء يجيبه (أمير): "أيوه فاكر.. وكنت هلبس في الرصيف

العالي اللي جنب المخزن... فكرتني والله.. عايز أبص على الكاربرتير بتاع المحروقة بتاعتي.. بتاكل بنزين... أصل تبقى فيات إزاي لو موفرتش بنزين؟".

يتذكر (أمير) شيئًا ما فيقف: "إنت عارف يا عم (سالم) أبويا كان بيقولي اسم فيات جه منين؟".

= "منين؟".

يشرد (أمير) ببصره قليلًا: "كان بيقولي إن أول واحد ركبها كان مترشح في الانتخابات.. وكان نازل فتات... فكل ما يعدي ولا يروح بعربيته.. يقولوا عربية فتات أهي.. عربية فتات أهي... فتات فيات.. فيات فتات... فاتحورت لحد ما بقى اسمها فيات".

يبدو على (سالم) أنه لم يفهم، فيشعل (أمير) سيجارته، ويسأله: "المهم... هعدي على الراجل امتى وفين عشان أخد منه الورق؟".

* * *

"الفيران مجنناني... لازم أخلص منها".

* * *

يجلس في مكتبه المتواضع في هذا الشارع المتواضع في هذا الحي المتواضع، يتأمل الجريدة في ملل، يسرح قليلًا متذكرًا ركوضه صغيرًا للباب عندما يسمع والده يدلف إلى شقتهم المتواضعة، فيخطف جريدة الجمهورية ليتصفحها تحت ظلال ابتسامة والده الذي يظنه يقرأ الأخبار، بينما هو بخبرة المراهق الصغير يبحث عن صورة شبه ساخنة لممثلة أو لمغنية أو حتى للعارضة التي دائمًا ما كانت موجودة صفحتين قبل الأخيرة، يبتسم لهذا الخاطر قبل أن تدخل عليه (نجوى) حاملة كوب الشاي، يحاول أن لا ينظر إلى وجهها الدميم الغارق في محاولة بائسة منها لتجميله، يقلب الشاي بقرف.

= "عايز حاجة تانية يا (أمير)؟".

يهز رأسه نافية، فتستدير لتنصرف، فتحين منه التفاتة إلى مؤخرتها النحيلة وقدميها متشققة الكعبين: "يووووه... يا (نجوى)!".

تستدير لتواجهه: "نعم يا (أمير)؟".

= "(نجوى).. عايز أقولك إنك مش محتاجة تحطي كل المكياج ده... من غيره أحسن".

بفرح: "بجد يا (أمير)؟".

– "طبعًا.. لإنه مفيش أوحش من كده!".

تنظر له بدهشة قبل أن يكمل: "بلاش تحطي القرف ده تاني عشان ما تفزعيش الزباين".

تجاهد دمعتها: "ليه كده يا أ/ (أمير) تكسر بخاطري؟ وبعدين هو اللي شكله وحش مالوش نصيب في الدنيا دي؟".

يطرقع بأصبعه: "لالالالا الجو ده مابياكلش معايا... (ينهض من مكانه) أنا ماشي من وشك عشان المشوار المهم اللي قلتلك عليه".

يغادر بينما تقف هي منكسرة الرأس، قبل أن يعود مرة أخرى فتأمل فيما هو أفضل: "الفيران لسه مجتناني، كلت الطماطم اللي كنت حاطط فيها سم.. ولسه موجودة برة الشقة وفي بير السلم".

= "جرب تحطلها السم في جبنة رومي".

* * *

"القرف.. هو كل اللي بيحاوطني دلوقتي... كويس إن بيتي ومكتبي وبيت الراجل اللي رايح له في نفس المنطقة... بس برضه قرفان" يسجلها هامسًا على (هاتفه)، وكان صادقًا، فهو يشعر بالقرف من هذه الشوارع المحطمة، من أسماء المحلات البلهاء، من وجوه الناس الأكثر بلاهة، يشعر بالقرف من هذا المتسول الذي يتقيأ على القمامة الملقاة، يشعر بالقرف من مدخل البيت الذي دلف إليه، من السلالم المكسورة التي يصعد عليها، من الباب المشقق الذي يطرقه، من نفسه وهو يرسم ابتسامة صفراء عندما طالعه وجه الرجل الذي يقصده، يتفحصه الرجل في شك، ويتفحصه (أمير) بدوره. كان الرجل في الخمسينيات من العمر، أصلع، يرتدي فانلة داخلية على بنطلون بيجامة مخطط وعلى وجهه

تقبع نظارة (كعب كوباية) وفمه فاقد لسنةٍ أمامية. يقدم (أمير) له كارت، يقرأه الرجل بدهشة: "قاعة شهرزاد للأفراح والمناسبات؟!!".

يسحب منه (أمير) الكارت ويقدم له آخر: "أنا أسف، الكروت اتلخبطت، أنا (أمير شريف)... المحامي بتاع القضية بتاعتكم".

= "القضية بتاعتنا؟!... اتفضل يا ابني".

كان الرجل يعد قهوة على (السبرتاية) بينما ينظر (أمير) للتلفاز الذي يعرض فيلمًا دينيًّا، يتناول (أمير) رشفة من القهوة السيئة، ويسأل الرجل: "افتكرت حاجة وأنا بتفرج على الفيلم ده".

يبدو على الرجل عدم اهتمام، فيكمل (أمير): "..وإحنا بناكل بصارة كان أبويا الله يرحمه بيقولي إن كلمة بصارة جت من الكلام اللي بيقوله الكفار دول... كان بيحكيلي إنهم وهما بيلفوا حوالين الكعبة بيقولوا إحنا بصارة وعدس عدس.. جينا ناكلها ثانية... إحنا بصارة وعدس.... فمن هنا جت كلمة بصارة".

يبدو على الرجل الامتعاض وهو يناوله مجموعة من الأوراق: "دي هي كل الأوراق... الناس في رقبتك".

يتناول (أمير) الأوراق ويهم بالانصراف، ولكنه يتوقف: "بقولك.... أنا الفيران مجنناني وجبت لها سم حطيته مرة ع الطماطم ومرة على الجبنة الرومي... ياكلوا الحاجة ومش بيموتوا.. أعمل إيه؟".

يجاوبه الرجل بقرف: "جيب لزقة وحط لهم السم على حتة لانشون".

* * *

"باكره الفيران... وودني اللي مش بتعرف تنام من صوتهم".

* * *

يسحب (أمير) المقعد لخطيبته (نسمة) لتجلس، بينما يختلس نظرة سريعة لمؤخرتها، ثم يجلس هو الآخر، يبدو عليها الغضب: "يعني برضه مقلتش مين (سماح) دي اللي كنت بتكلمها".

يتأمل أصابعها وأظافرها وهو يقول بهدوء: "مفيش داعي للحوارات دي".

= "يعني إيه مفيش داعي للحوارات دي؟ أنا عرفت من (نجوى) إن مفيش أي موكلة عندك اسمها (سماح)".

يشير للنادل: "اتنين ليمون... ومتنساش الشجرة".

يضحك النادل بينما يحتفظ (أمير) بابتسامته: "(نجوى)؟!! بتسألي (نجوى)؟... إنتي بس تلاقيكي متوترة عشان البريود".

= "البريود؟!!".

– "آه... عارفة عرفت إزاي؟... بما إنك بتصلي وبتبقي محتاجة تتوضي طبعًا... فاليومين دول بس من كل شهر بتحطي مانكير".

= "أنا مسألتكش.... وما تحاولش تغير الموضوع بالحكايات اللي بتقعد تحكيها دي".

– "وبرضه إنتي متمثليش الدور السخيف بتاع كل البنات".

= "دور سخيف بتاع كل البنات؟!!".

– "آه دور سخيف... إحنا بنلف وندور في دايرة سخيفة وغبية من العادات اللي بنحاول نلبسها عبايات مش بتاعتها... يعني إنتي كبنت لازم تمثلي إنك بتحبي خطيبك عشان تغطي على إنك وافقتي عليا.. حاجة كده أو خدمة كده مقابل الشبكة اللي جبتهالك... وإيه بقى مستلزمات تمثيل الحب ده؟!!".

= "إيه؟!".

– "لازم تمثلي إنك بتغيري.... وإنتي في الحقيقة لا بتغيري ولا حاجة، بس... بس المجتمع علمك إنك لازم تظهريله إنك بتغيري.. وعلمك إن في موقف زي ده الكتالوج بيقول إنك لازم تمثلي الغيرة".

= "كتالوج.. آه.... وإيه تاني؟".

يهم بالرد، لكن النادل يقاطعه بوضع أكواب الليمون وينصرف، يتأمل (أمير) عصير الليمون: "إنتي عارفة اللمون ده فكرني بإيه؟".

= "بإيه كمان؟!".

– "أغنية شجر اللمون، كان أبويا دايمًا يسمع أولها (كنعان ومواسم عدوا... شجر اللمون دبلان على حزنه).. فكان فاكر إن كنعان ده اسم راجل ومواسم دي اسم ست.. والاتنين بيحبوا بعض.

تبتسم رغمًا عنها، وتتأمل وجهه بادي الحزن، قبل أن يُخرج هاتفه ليسجل بصوت مسموع لها: "بحب (نسمة)... وبحب فيها إنها بتصبر عليا حتى وأنا متعمد أضايقها.. مش عارف ليه بحب أضايقها"، ثم يغلق هاتفه ويضعه على المنضدة فتضع كفها على يده: "بخاف منك وبخاف عليك".

يتأمل كفيها: "قلت لك قبل كده إن إيديكي شكلها جميل؟!".

= "قلتلي... إنت بتنسى كتير ومش بتفتكر غير حكاوي أبوك... بس إنت ليه يا (أمير) بتحب تضايقني".

– "مش عارف.. حاجة جوايا بتكون مستمتعة... وحاجة جوايا بتقول إن لازم ده يكون كدب... كل حاجة لازم تكون كدب أو مفتعلة... بخاف أصدق".

يرفع هاتفه مسجلًا: "هاقولها على الحقيقة... بس يا ترى؟!!".

– "(سماح) دي أختي، وكنت بكلمها عشان نروح نزور ماما بكره".

= "إنت مقلتليش قبل كده إن ليك أخت".

يرفع هاتفه أمام فمه وينظر لها بثبات: "السبب الوحيد اللي خلى أبويا يختار أمي إن عينيها ملونة... كان نفسه يخلف بنت عينيها ملونة.... زي البنات الأجانب اللي كان بيشوفهم أيام ما كان بيشتغل على مركب".

= "وبعدين؟!".

– "(نسمة) حلوة... وعينيها ملونة".

* * *

"الفيران كلت حتة الجبنة الرومي.. بس الغريب إن مفيش ولا فار ميت أو لازق في الخشبة".

* * *

من شرج الباب تُحشر عينا (أمير) الفضولية؛ لتراقب اقتراب والده من جسد أخته، ينحني الأب ليقبل قدميّ ابنته الصغيرة، فيعتقد (أمير) الطفل إن قدم أخته بها (واوا)، يرتفع أكثر ليلعق ركبتها، فيظن (أمير) الطفل إن والده يغسل لسانه بـــ(صابونة ركبتها)، ثم يشرع الأب في الارتفاع أكثر وأكثر، فتختلط الأمور في ذهن (أمير) الطفل، ويشعر أنه يرى دوامة من الألوان تدور أمام عينيه، يقتحمها والده وهو يهزه بخفة ناظرًا لعينيه مليًا: "إصحى يا (أمير).. إصحى عشان تروح المدرسة... إنت إيه اللي نومك في الصالة؟!".

* * *

"البلد دي بلد كسكسي يا أسطى شريف" يتذكر (أمير) عبارة عم (سالم) المفضلة للتعبير عن سخطه، والتي كان دائمًا ما يرددها لوالده. يتذكره وهو يجلس في غرفة سكرتارية الشركة.

"اتفضل يا أ/ (أمير)"، تقولها السكرتيرة، فيتقدم (أمير) ناحية الباب وهو يختلس نظرات سريعة لمؤخرتها وقدميها، قبل أن يقول في سره: "الله يحرقك يا (نجوى)".

يدلف للغرفة فيجد الرجل الكبير في الشركة ينظف الغليون الخاص به، يرفع عينيه ناحية (أمير): "اتفضل.. اتفضل".

يواصل تنظيف غليونه لفترة طويلة، فيسأله (أمير): "هو حضرتك بتلاقي وقت تشربه؟".

= "إنت عارف؟ أنا بحاول أبطل تدخين... فطول الوقت بنضف بس.. مش بشرب".

– "بتنضف بس؟!".

ينهض الرجل الكبير ليحضر زجاجتي عصير من ثلاجة المكتب الصغيرة.. يتناول (أمير) زجاجته.. يجلس الرجل الكبير أمامه، ويسأله: "إنت بقى فتوة الناس الغلابة؟".

- "إلى حدٍّ ما..".

يضحك الرجل الكبير: "أوفر... أوفر قوي اللي بيعملوه... إنت عارف؟... الخصخصة مش حرام... ولا خطيئة اقتصادية".

يبتسم (أمير) بدوره، فيكمل الرجل الكبير وهو ينهض جاذبًا (أمير) من كفه: "يعني مهاتير محمد اللي طالعين بيه القلعة... خصخص القطاع العام في ماليزيا".

يواصل (أمير) الابتسام: "بس.. ولو كانت ذاكرتي سليمة 60% أو 80% من العربيات اللي ماشية في شوارع ماليزيا مصنوعة في ماليزيا... لكن إحنا...".

وينظر له نظرة ذات مغزى، ينظر له الرجل قليلًا: "إنت شكلك ذكي يا (أمير)... إيه رأيك في جو الأوضة دي".

يدور (أمير) ببصره في الغرفة: "لأ تمام... التكييف أوبشن بصراحة".

يفتح الرجل الكبير النافذة: "طب ولو فتحنا الشباك وسيبناه يدخل الصهد اللي بره... إيه اللي هيحصل؟".

يفكر (أمير) قليلًا: "هو الإجابة السهلة إن الجو جوه المكتب هيتحر أو التكييف هيبوظ... بس أنا أعتقد إن قصدك حاجة تانية أنا مش فاهمها".

يقوده الرجل الكبير إلى الباب: "إنت ذكي يا (أمير)... وهتفهم".

يخرج (أمير)، ثم يعاود فتح الباب مرة أخرى: "على فكرة.. أنا برضه مش فاهم المثل".

* * *

"برضه الفيران ولاد الكلب كلوا الجبنة الفلمنك اللي بالسم وماتوش".

* * *

"لحد دلوقت بقول عليه شارع فؤاد مش 26 يوليو"، يقولها (أمير) لخطيبته وهما يسيران في شارع 26 يوليو.

قبل أن يكمل: "بس بحب أتمشى فيه... بحب أتمشى في وسط البلد عامةً... بتفكرني بأبويا".

= "آاااااااه.. عشان كده وقفت كتير قدام تمثال إبراهيم باشا؟!!".

يضربها على كفها: "بتتريقي حضرتك؟؟!!".

يقفان أمام محل لملابس الأطفال: "إنتي شايفة اللعب اللي تحت المانيكان دي... زمان..".

= "زمان امتى يعني؟!".

– "في التمانينات كده... بطلي رخامة واسمعي... زمان كنا في شارع فؤاد أنا وبابا... وشفت لعبة عجبتني قوي.. بس مكنش معاه فلوس يشتريهالي... وكنت كل ما أجيب له سيرتها يقعد يحكي حكايات بتاعة أسماء الحاجات دي".

= "آه... بيتوهلك يعني؟".

– "ماعلينا... بعد وفاته بأسبوع وأنا هايم في وسط البلد.. لقيتهم حاطين لعبتين... من نفس النوع اللي كان نفسي فيه وأنا صغير... وفضلت ورا البياع لحد ما أقنعته يبيع لي واحدة منهم".

= "وعملت بيها إيه؟ لعبت بيها؟".

– "لأ... خدتها حطتها على قبره...".

= "حطيتها على قبره؟؟!!".

– "آه... الغريبة إني في لحظتها افتكرت حاجة شفتها وأنا صغير وقعدت طول عمري أكدب نفسي... وأقول إني كنت.... بحلم.... بس المرة دي كانت واضحة قوي.. وحقيقية بشكل يوجع".

= "افتكرت إيه؟".

– "هحكيلك عن زيارة أختي لأمي".

* * *

"جبت حتة سجق وحطيت فيها سم... برضه الفيران كلت الحاجة وملقتش ولا فار ميت... ولا منقول للعناية المركزة".

* * *

يطرق (سالم) على زجاج سيارة (أمير)، يفتح (أمير) زجاج السيارة، يبدو التجهم على وجه (سالم) وهو يسأل: "إنت كنت عنده؟".

بهدوء يجاوبه (أمير): "وإيه المشكلة؟".

= "هتبيع؟".

يتنهد (أمير) دون أن يجيب، فتقطر شفتا (سالم) ابتسامة مُرة: "ما هو إنت لو بعتنا.. وبعت أبوك... تبقى فعلًا بلد كسكسي".

يضحك (أمير) ويشير لـ(سالم) بالركوب، يعبث بأزرار الراديو وهو يسأله: "إنت عارف كان بابا بيقولي كلمة كُسكسي جت منين؟".

يهز (سالم) رأسه نافيًا، فيكمل (أمير): "كان بيقولي إن أول واحدة عملت الأكلة دي كانت مرات عربجي... فكانت كل ما تجيبهاله يقولها لالا.. كسكسي... كل ما تعملها يقولها.. لالا كسكسي.. لحد ما اتحورت وبقيت كُسكسي".

= "عمري ما فهمت حكايات أبوك... مردتش عليا برضه... هيشتروك؟".

- "طب نسمع الراديو أحسن".

* * *

يدلف (أمير) إلى غرفة أمه، وبعد تردد تتبعه أخته (سماح) التي يبدو عليها الضيق، بينما كانت الأم مشغولة في البحث عن شيء ما. يطرق (أمير) على الباب لتنتبه لحضورهم، فتلتفت مفزوعة وفي يدها عروسة صغيرة: "(سماح)؟؟!! أخيرًا رديتي تيجي.. تخليني أشوفك قبل ما أموت".

(أمير): "بعد الشر عليك يا أمي".

(سماح): "أديني جيت... إزيك؟ عاملة إيه؟".

تنظر لها الأم متفحصة: "إنتي ليه مش عايزة تقربي".

(سماح) ببرود: "إيه اللي مسكاه في إيديكي ده؟".

تنظر الأم للعبة في يدها: "دي هدية عيد ميلادك".

سماح تهتف بغضب: "عيد ميلادي إيه؟!! إنتي عمرك ما جبتيلي هدية عيد ميلاد".

تترقرق دمعة في عيني الأم: "مين قال؟!! دي هدية عيد ميلاك الرابع.. (تندفع ناحية الدولاب وتشرع في إخراج الهدايا).. ودي هدية عيد ميلادك الخامس... ودي السابع... (تتناثر الهدايا على الأرض.. أمام عيني (أمير) الذاهلة... وعيني (سماح) الغاضبة)... ودي التلاتشر.. ودي العشرين... ودي...".

تصرخ (سماح) في الأم: "طب ليه عمرك ما اديتيني حاجة؟!!".

يفزع (أمير) عندما يرى نظرة الكراهية في عيني الأم، فيتراجع لخارج الغرفة ويهمس في هاتفه: "معقولة؟!!... هي كمان كانت عارفة؟!".

* * *

"الفيران لازم تموت... آه والنعمة".

* * *

يستيقظ على منبه هاتفه، فيلتقطه وينهض في تكاسل.

"هو أنا ليه حاسس إني مشبعتش نوم؟"، يخرج إلى الصالة فيجد ساعة الحائط مبكرة عن ساعة هاتفه فتبدو عليه علامات الفهم، فيسجل على هاتفه: "يا غبي.. لغو التوقيت الصيفي خلاص"، يشرع في ارتداء ملابسه محدثًا نفسه: "خلاص بقى النوم راح... أو راح ساعة وخلاص".

يكمل ارتداء ملابسه، يمر أمام صورة لوالده فيخاطبه: "لسه محتار؟".

يخرج من الشقة فيتعثر في ذلك المتسول؛ الراقد أمام الباب ممسكًا بقطعة السجق المسمومة، ويبدو عليه الألم الشديد، تبرق في ذهنه...

* * *

يشعر بالقرف من هذه الشوارع المحطمة، من أسماء المحلات البلهاء، من وجوه الناس الأكثر بلاهة، يشعر بالقرف من هذا المتسول الذي يتقيأ على القمامة الملقاة، يشعر بالقرف من مدخل البيت الذي دلف إليه، من السلالم

المكسورة التي...

يشعر بالقرف من هذا المتسول الذي يتقيأ على القمامة الملقاة..

* * *

يؤلمه الفهم قليلًا، وتؤلمه عيناه المذهولتان، يتقيأ المتسول على حذائه فيبتعد عنه مشمئزًا... يحاول التشبث به... فيزيحه.. ويبتعد عنه... ويسير في الشارع وهو ما يزال يفكر في القرار الذي سيأخذه.

09 مايو 2012

Under Moderator

(1)

Your feeling must have approval before being sent, don't forget you are *Under Moderator*

(مشاعرك يجب أن تحظى بالموافقة قبل السماح بها..... لا تنسى أنك تحت الإشراف).

(2)

قالت: "أنا لا أحب فيروز".

قال: "وأنا لا أطيــق عبد الحليم".

تساءلت: "كيف سنحب بعضــنا البعض إذن؟ إن الناس اعتادوا أن يعشقوا بعضهم على هذه الأنغام، التاريخ يقول هذا".

يجيب: "ولماذا يجب أن نفعل مثل الناس؟ هم الذين يجب يتعلموا منا. لا داعي أن تجهد نفسنا في التفكير. الحب ذاته سيتخذنا مثلًا أعلى".

تضيء ساعته بلون برتقالي متقطع، ويدوي الصوت المعدني عبر الجهاز المزروع في أذنه: *"احترس.. مشاعرك تقترب من الحد الخطر.. لاتنسى أنك* (*Under Moderator*)".

يتحكم في مشاعره ويلتفت للطبيب الذى كان يقول: "انتهت العملية بنجاح. نسبة المعدن التي أضفناها إلى لحم وجهك ستجعله أقرب إلى اسمك؛ (*ذو الوجه الصفيح*)؟!! أليس اسمًــا غريبًــا؟".

ينهض (*ذو الوجه الصفيح*) من على الفراش ويجاوبه: "ربما يكون غريبًا ولكنه ملائم للفئة التي أنتمي إليها، الفئة الأدنى في هذا العالم".

ثم يكمل وهو ينظر إلى الأطلال البعيدة، دون أدنى تعبير على وجهه: (*Under Moderator*).

(3)

تسير بثيابها الزجاجية عبر الردهة البلورية. الأدق أنها كادت تطير كالفراشة الرقيقة لأن الأرض كانت تئن ملتاعــةً من خطواتها. الأشجار التي تطل من نوافذ الردهة تتمنى أن تستطيل أغصانها كي تمسها.

تصل إلى القاعة العملاقة فيكف الناس عن الرقص، وتتجمد الساعات ذاتها، حتى الصدور سجنت أنفاسها حتى لا تخدشها.

يقول الملك: "فليتقدم كل من يعتقد أنه يملك مفتاح قلب (*العذراء*)".

يشرع كل أمير وبطل في دس مفتاحه في قلب (*العذراء*) على أمل أن يكون هو الــمنتظر، ولكن مع كل فشل كان هناك قلب يتحطم.

تنظر حيث وقف (*ذو الوجه الصفيح*) وتقول: "لما لا تجرب؟".

ينقل بصره بينها وبين المفتاح الذي في يده قبل أن يرفع عينيه دون أن يحمل وجهه أي انفعال، لحظات، ثم يغمز لها بعينه اليسرى.

"*يجب أن أكف عن هذا السخف*" تقول لنفسها هذا كي تتحكم في مشاعرها. وتلتفت إلى الطبيب الذي يبدو عليه التأثر قبل أن يقول: "آسف أيتها (*العذراء*)، ولكن لا بد من أن تحصلي على قلب جديد".

تسأله: "وكيف هذا؟".

يجاوبها: "إما عن طريق متبرع كريم، أو قد يلجأ السادة الذين تنتمين إلى طبقتهم إلى إجبار شخص من الطبقة الأدنى أن يتخلى عن قلبه من أجلك".

(4)

ينظر له (كبير *العظماء*) في شكٍ قبل أن يسأله: "ولِمَ تطلب أن تتخلى عن قلبك من أجل (*العذراء*)؟ هل هذا ناتج عن عاطفةٍ ما؟ أنت تعرف أن العواطف والمشاعر ممنوعة في عالمنا اليوم".

دون أن تتحرك أي عضلة من وجهه الصفيح، قال: "أعلم يا سيدى. كل ما هنالك أنني من الفئة الأدنى وهى من الفئة الأعلى، وبمعادلة بسيطة هي تستحق الحياة أكثر".

يمط (*كبير العظماء*) شفتيه قبل أن يقول: "حسنــًا أنا موافق، هذا هو واجبك يا بني. وفرصة أن نستغل توقف الغارات".

(**5**)

"هل أنتِ مستعدة للذهاب إلى المعمل؟ من المؤسف أنك سترافقيني في الأيام القادمة حتى موعد العملية".

"ماهيِ إلا بضع ثواني وأكون جاهزة.... للذهاب معك".

"حقــا؟؟!!".

تجاوبه وهي تبحث عن شيء ما: "نعم، فلقد أخبروني أنك ستلازمني خلال الفترة القادمة حتى تتم العملية..... هل يمكن أن تناولني أي حذاء من هناك؟".

يلتفت حيث أشارت إلى خزانة مليئة بالأحذية، فينتقي حذاء بكعب عال، فتقول له بسخرية: "لماذا لا يرى الرجال سوى الكعب العال؟".

يسألها: "ماذا تعنين؟ أنا لا افهم".

تنظر له في شكٍ قبل أن تقول: "إنكم لا ترون فيَّ سوى الكعب العالي، لا ترون فيَّ سوى أنوثــتي، لا يهمكم عقل أو شخصية، لا يمكنكم أن تتعاملوا معنا بحياد".

يقول وهو يبعد الحذاء عن يدها الممدوة له: "حسنًا، فلتخرجي هكذا من دون حذائك ذي الكعب العالي".

– "لا يمكن، الحذاء جزء من ثيابي، لا يمكن أن أتخلى عنه".

= "وكذلك أنوثتك جزء من شخصيتك، لا يمكنك أن تتخلي عنها".

– "أنت جريء، بل وقح".

يرد في جمود: "لا، بل أنا (**Under Moderator**) أيتها (*العذراء*)".

(**6**)

تقول (*العذراء*): "لكن ماذا لو رفضتك؟".

يحاول (*ذو الوجه الصفيح*) أن يبتسم وهو يقول: "لا مشكلة هنالك، فأنا رجل اللاتميزات. أوتعرفين؟ إذا رفضتيني سأحترمك أكثر".

ترفع حاجبيها في دهشةٍ قبل أن تسأله: "تحترمني إذا رفضتك؟! ماذا لو وافقت إذن؟".

يغمز بعينه اليسرى ويقول: "حينها سأحبك أكثر".

تفيق من خيالها بعد أن سحب الطبيب المحقن، وجلس أمامها هي و(*ذا الوجه الصفيح*) يشرح لهما خطوات العملية: "ستخضعان لمخدر موضعي لمنطقة الصدر فقط؛ بمعنى أنكما ستحتفظان بوعيكما أثناء العملية. وبعد أن ننقل القلب منك إليها، ستواصل دورتك الدموية لفترةٍ مؤقتة بفضل بطارية خاصة. وبعد أن ينفد شحنها، ستموت. وكلما كانت انفعالاتك ومشاعرك تحت المستوى الأدنى عشت أكثر. وفى هذه الأثناء سنستغل فترة توقف القصف، وننتقل العذراء للمشفى الرئيس لإتمام عملنا. هل أنت مستعد لهذا؟".

لحظات صمت، قبل أن يقول (*ذو الوجه الصفيح*): "أنا مستعد".

(7)

يقف مذهولًا في ممر النور يراقب متسدوهًا ذلك الملاك الناصع النور المحلّق في تجاهه. إنه ملك الموت، بالتأكيد هو. كان دائمًا يتخيله جميلًا نورانيًا يفرد أجنحته ليتلقاه برفق، ولكن بعد أن اقترب حتى صار لصيقـــا بروحه، وجد نفسه يقول وهو يكاد يبكي: "أرجوك أيها الملاك، دعني قليلًا، مازال هناك شيء هام يجب أن أفعله".

يجيبه الملاك بحنان: "أعلم. وقد أتيت لأعينك في نقل روحك لها".

يقول (*ذو الوجه الصفيح*): "شكرًا لك. لكن انتظر حتى يسطع الأمل في روحي حتى تنقلها لها روحـــا مفعمة بالأمل".

ولكن تضيء الساعة بضوء أصفر متصل... ويدوي الصوت المعدني في عقله <حاذر.. أنت تكاد تخترقُ حدك المسموح به.. لا تنسى أنك (**Under Moderator**)>

"فيم أنت شارد؟".

يلتفت إلى (*العذراء*) فلا يجيب، يمسك يدها ويقتادها إلى النافذة في آخر الممر، ويشير إلى الأطلال، ويقول: "ألا تتذكرين؟".

تنظر قليلًا إلى الأطلال، قبل أن تهز رأسها نافيةً، وتقول: "لا أتذكر. أنت تعلم أنه كي أنضم إلى العظماء وأصبح أيقونة مقدسة كان يجب أن أنسى حياتي الماضية بكل ما فيها؛ سواء السيء منها..... أو الجميل".

تقاوم ملامحه المعدنية خيبة الأمل وهو يقول: "إذن لا تتذكرين طفلين عاشا هناك يومـًا. كان هناك بيت جميل وحديقة غناء، كانا لا يستطيعان رؤية السماء من كثرة أحلامهم الوردية التي تحلق فوقهما كطيور قادمة من الجنة".

تقول (*العذراء*): "لا أتذكر. هيا بنا فقد حان موعد العملية".

يراقبها قليلًا وهي تبتعد، قبل أن ينقل بصره للأطلال، ويقول: "ضاع الأمل الأخير".

(8)

تسأله في دهشةٍ: "لماذا أنت عنيد هكذا؟ لا فائدة. بداخلي لوح ثلج لا يذوب. هذا اللوح هو قلبي. أنا محصنة ضد الحب. يجب أن أكون هكذا لأحتفظ بمكانتي".

دون أن تتغير ملامحه يقول: "أما أنا فقلبي شعلة نار متوهجة".

تضع يدها على كتفه وتقول: "احترس. فإما لن يذوب الثلج أبدًا. أو يذوب بعضه ويطفيء النار".

يكاد يبتسم وهو يقول: "في كل الأحوال.... سيذوب".

تضيء الساعة بضوء أصفر متصل... ويدوي الصوت المعدني في عقله <*حاذر.. أنت تكاد تخترق حدك المسموح به.. لا تنسى أنك* (**Under Moderator**)>

ينقل الطبيب بصره في توتر بينهما قبل أن يقول: "المخدر الموضعي لا يؤثر فيه".

يقول (*ذو الوجه الصفيح*): "أنا عندي اقتراح؛ دعني أمسك يدها، ثم ابدأ

عملك".

وبالفعل يمسك يدها، ويشرع الطبيب في العمل. تلتفت (*العذارء*) إلى (*ذي الوجه الصفيح*) وتقول ساخرة: "كم هي حمقاء هذه الرومانسية البلهاء، لكنها أفادتك في تجنب الألم. ألا تشعر بأي ألم؟؟!!".

يجيبها وهو يجز على أسنانه: "بل أشعر بكل لحظة فيه".

(9)

يتأمل البطارية التي تشير إلى قرب نهايته. ثم يرفع نظره ليراقبهم وهم يدفعون السرير الذي يحمل آخر أيقونة مقدسة في عالمه الفوضوي نحو الطائرة التي ستقلها إلى المشفى الرئيسي. يلحق بهم قبل أن يصعدوا إلى الطائرة. يقترب منها. ينحني ليقبل جبهتها غير مبالٍ بتحذيرات ساعة الرقابة التي يرتديها، وقبل أن يصل فمه إلى جبهتها يتراجع ويهمس: "لا أستطيع سوى أن...".

وينحني ليقبل يدها. ثم يتراجع إلى المشفى ويصعد إلى الطابق الأعلى حيث نافذته المفضلة، ويتأمل الأطلال. للحظاتٍ خانته عينه ورأى أحلامه القديمة الوردية.

ارتفعت الطائرة وبدأت رحلتها، ولكن فجأة تدوي صفارات الإنذار، لقد عادت الغارات. تعلقت عيناه بالطائرة، قبل أن يدخل هذا السهم النارى إلى صفحة السماء ويحول الطائرة إلى كتلةٍ مشتعلة تهوي ناحية الأطلال بالضبط.

لم يبالي بالتحذير الأخير لنفاذ بطاريته، ولأول مرة تسري الدمعة الفضية على (*الوجه الصفيح*).

تهوي في الأطلال... يهوي على الأرض.... يسقط جسدان بقلب واحد.

2006/7/31

تلوّى الجميع من النيران المستعرة التي شرعت في إلتهامهم، وصاروا يركضون هنا وهناك، يتخبطون في بعضهم البعض، بينما علت البسمة شفاه المتفرجين، وزادت متعتهم مع تزايد ألسنة اللهب، ولا يملك الابن الذي وشى بوالده سوى أن ينظر للأرض، وَالمرأة التي دلّت الحراس لمكان زوجها سوى أن تستكشف أبعادًا أخرى للكون كي تتأملها في هذه اللحظة.

يقول الملك الأسباني (فيليب الثاني) لرجل الدين الذي يجلس بجواره: "من الجيد حرق هؤلاء المهرطقين الذين لوثوا بلدة (الوليد)".

يؤمئ الرجل برأسه موافقًا، بينما يتقدم أحد البائسين ليلقي بنفسه تحت قدمي الملك ويتوسل إليه قائلاً: "يا.. أيها الملك العظيم.. أيها المؤيد بسيف الرب.. أنا لا أطلب العفو.. فقط أطلب الرحمة.. أرجوك دعهم يشنقونني.. ولا تدعهم يحرقونني".

ينهض الملك ويقول بصوتٍ جهوري: "لو كان ابني شقي مثلك لجمعت الحطب بنفسي لحرقه... أيها الخاطئ إن هذه النيران هي التي ستطهرك من رجسك".

هلل الجمهور لتقوى الملك وورعه.

أبناء الرب

خيَّم الصمت على الجميع، وتصاعد الدخان الأسود من المشاعل المحيطة بالساحة الكبيرة، لقد فشل الجميع في فهم ما يحاول قوله، واندفع (فريدريك) بجسده الضخم ليمسك بجسده الهزيل وهو يصرخ: "إننا لا نفهم ما تقول.. إنك تُعطِّل سيف أبناء الرب".

"أنا أعرف ما يريد أن يقول" الْتفت الجميع إلى صاحب الصوت في دهشة.

* * *

العام 1809.... الحملة الفرنسية في أسبانيا.

يسأل (المارشال سولت) الحاكم العسكري لمدريد: "هل تروي لي ما حدث بالضبط؟".

يجاوبه الكولونيل (ليموتسكي) أحد ضباط الحملة: "لقد كنت أسير ليلًا في أحد شوارع مدريد، كنت أمشي مسرعـًا لأني بمفردي، وفجأة هجم عليَّ اثنان مسلحان بغية قتلي، فقاومتهم. ولم يُنجني منهم سوى قدوم سرية من جيشنا، فلاذ المسلحون بالفرار".

ينهض (المارشال سولت) ويسأله: "ألم تتعرف عليهم؟".

يجاوبه (ليموتسكي): "يبدو من ثيابهم أنهم من جنود ديوان التفتيش".

يقترب (المارشال سولت) من النافذة وينظر من خلالها إلى العاصمة الغافية تحت ظلام الليل والخوف، قبل أن يقول: "بالتأكيد السبب وراء هذا الرهبان الجزويت أصحاب الديوان الملغي، لقد كان هذا الخطأ الذي أنتظره".

ثم يلتفت إلى (ليموتسكي) ويقول: "خذ معك من الجنود ما يلزم، وضع قفلًا لصندوق القلق هذا".

* * *

تطير الفراشة الرقيقة مغلفة بنسمات الهواء الناعمة لتمر بين فروع الأشجار الخضراء، وتلمس أوراقها بحنان، وتحاول بضربات جناحيها الرقيقان تجفيف قطرات الندى من على الزهور اليافعة. قبل أن تمتد يد (توريس) لتلتقط هذه الزهرة ويناولها إلى (سيفليا) قائلًا: "أتدرين ماهية هذه القطرات على الزهرة".

تتناول منه الزهرة وهي تقول في رقةٍ: "بالطبع، إنها قطرات الندى".

في امتعاضٍ مصطنع يجيبها: "قطرات الندى؟!! بالطبع لا، إنها الدموع التي ذرفتها الشمسُ تستجدي بها الليل كي ينصرف وتشرق لتنير الدنيا مع (سيفليا) الجميلة".

تنظر للأرض في خجلٍ، فيُكمل: "لقد أخبراني أنهما شديدا الغيرة منك".

تسأله: "من هما، الشمسُ؟!".

يهز كتفيه ويقول: "هذه واحدة. فبعد أن أخبرها القمر أنه لن يظهر في الليالي بعد ذلك، قالت له أنها ستكتفي بإرسال الحرارة وتدع مهمة النور لـ (سيفليا)".

تضحك وتقول: "أنت مشاكس، لا أصدق أنك خادم كنيسة (القديس بطرس)!".

ينظر إلى عينيها ويحاول لمس يدها وهو يقول: "الحب هو النعمة الأكبر التي وهبنا الرب إياها. الأب (توما) دائمًا يقول: الله محبة. إن هذا الرجل لعظيم، أنا فخور لأني بجواره أهتدي من طيفه ما أقتبسه من نور الحقيقة ونارها".

تنقلب ملامحه ويقول وهو ينظر إلى ما خلف كتفها: "على ذكر الأب (توما)، هؤلاء أكثر ما لا يحبهم. ما الذي أتى بهم مع نسمات الفجر؟".

تستدير (سيفليا) لترى ما ينظر له، وهو يُكمل: "إنهم.. أبناء الرب".

* * *

العام 1809

"خذ معك ألف جندي وأربع مدافع وهاجم دير الديوان واقبض على هؤلاء الرهبان الأبالسة.. "، يستعيد ذهن (الكولونيل ليموتسكي) كلمات (المارشال سولت)، وهو يأمر جنوده باقتحام دير الديوان. ونشبت معركة صغيرة قاوم فيها من في الدير بضراوةٍ ولكن الفرق الكبير في القوة هو الذي جعل (الكولونيل ليموتسكي) في قلب الدير الآن يصدر أوامره لجنوده بإلقاء القبض على القساوسة تمهيدًا لتقديمهم لمجلسٍ عسكري.

يقول (الكولونيل ليموتكسي): "أصدرتُ الأمر لجنودي بالقبض على أولئك القساوسة جميعًا وعلى جنودهم الحراس، توطئةً لتقديمهم إلى مجلسٍ عسكري. ثم أخذنا نبحث بين قاعات وكراسٍ هزازة وسجاجيد فارسية وصور ومكاتب كبيرة، وقد صنعت أرض هذه الغرفة من الخشب المصقول المدهون بالشمع، وكان شذى العطر يعبق أرجاء الغرف فتبدو الساحة كلها أشبه بأبهاء القصور الفخمة التي لا يسكنها إلا ملوك قصروا حياتهم على الترف واللهو،

وعلمنا بعد ذلك أنّ تلك الروائح المعطرة تنبعث من شمع يوقد أمام صور الرهبان ويظهر أن هذا الشمع قد خلط به ماء الورد، وجدنا كل هذا ولم نجد أثرًا لما نبحث عنه".

* * *

سنابك الخيول السوداء تدك الأرض في غلٍ وتطلق مناخرها البخار ليكون العنصر الأبيض الوحيد في لوحةٍ شديدة القتامة لخيولٍ سوداء تستمد قوتها من راكبيها ضخام الجثث. سوداء ثيابهم وملامحهم.. ونفوسهم، يمسكون شعلات تبدد ما تبقى من عباءة الليل، وهم يخترقون بجيادهم ممرات الأشجار، حتى يصلوا إلى هذا البيت الريفي ويحيطون به. ويترجلون من على جيادهم عدا كبيرهم الذي بقيَ في مكانه يراقب رجاله وهم يقتحمون البيت ليفتشوه، في حين أخذ الناس الذين أيقظتهم الضجة يتجمعون حول البيت.

خرج الرجال بعد قليل وهم يضعون الرجل المقيد في سلةٍ. ويقتربوا به من كبيرهم ويقول أحدهم: "أيها النبيل (فردريك) هذا هو (إيكر المهرطق) وهذه الكتب وجدناها عنده".

يلتقط (فردريك) كتابين، وهو يقول باشمئزازٍ: "أبعد هذا اللعين عني".

أخذ يقلب في الكتابين قليلًا قبل أن يقول: "إن ما في الكتاب الأول مكتوب بلغة الملاعين المسلمين، أما اللغة الأخرى فلا أستطيع تمييزها. ما هي يا (إيكر)؟".

ينظر (إيكر) إلى الأرض ولا يجيب، فيبتسم (فردريك) ويقول: "يبدو أنك لاتفهم وظيفة قطعة اللحم الموجودة في فمك... إنها تستخدم للكلام.. والكلام... والكثير من الكلام".

مخاطبًا جنوده: "احملوه للديوان". تنبعث الشهقات من الناس فيلتفت إليهم

ويصيح بصوتٍ جهوري: "أنا النبيل (فودريك خافي) أحد أبناء الرب وسيفه في أرضه.. سأعود ما عاد المهرطقين والزنادقة لتلويث حرمة الرب.. وتقلب العصاة في الخطيئة".

* * *

العام 1809

يقول (الكولونيل ليموتسكي) في مذكراته: "يبدو أنها مجرد شائعات.. تلك التي أحاطت بذلك الدير.. وأنه لا وجود لديوان التفتيش فيه.. وهذا ما ظل يؤكده الرهبان ويقسمون ويؤكدون أن ما شاع عن ديرهم ليس إلا تهمًا باطلة، وأنشأ زعيمهم يؤكد لنا براءته وبراءة أتباعه بصوتٍ خافت وهو خاشع الرأس، توشك عيناه أن تطفر بالدموع، فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير".

* * *

بالقرب من ميناء (بلنسية)

"خطر الموت.. هو النتيجة الحتمية لأي خطأ ترتكبه". يستعيد ذهن (توريس) كلمات الأب توما.

يأخذ نفسًا عميقًا ويشير إلى جماعة من (المورسيكين) ليتبعوه. يضع أحدهم يده على كتفه ويسأله: "إلى أين تأخذنا يا (توريس)؟".

يبتسم (توريس) ويقول: "لا تخشى شيئًا يا (أبيدال)، بالتأكيد لا أقودكم لديوان التفتيش".

يبادله الابتسام ويقول: "بما أنه لا يفصلنا عن كف الحرية سوى بعض المخالب، فخاطبني باسمي العربي، لا الاسم الذي فُرض عليّ".

– "وما هو اسمك يا أبيدال؟.. أقصد يا من لست أبيدال؟".

= "عبد الإله".

يهز رأسه مبتسمًا ويُكمل سيره والهاربون من خلفه، ويقول: "حسنًا.. يا عبد الإله.. سنسير حتى نهاية هذا النفق، وهناك تنتظركم سفينة ستقلكم

إلى...".
يقطع كلامه وهو ينظر في شك. فيسأله (عبد الإله): "ماذا هناك؟".
يشير إليهم (توريس) ليتوقفوا بينما يسير هو ويكمل: "كان من المفترض أن تكون نهاية النفق مغلقة".
يقترب حتى يصل إلى نهاية النفق. يمد يده الممسكة بالشعلة ليبدد ظلام ما خارج النفق، قبل أن يلتفت ليخاطبهم وهو يضحك: "يبدو أنني قد أسرفت في الشك عنــ..".
يقطع السيف الضخم كلامه ويده الممسكة بالشعلة فيصرخ (توريس) من الألم. ويهتف (عبد الإله): "انجو بأنفسكم إنه فخ".
يتعثر (توريس) في الظلام ويشعر بأجسادٍ ضخمة تركض بجواره للحاق بالهاربين. يحاول النهوض لكنه يشعر بسيفٍ يمر من بين فكيه ليحطم أسنانه ويطيح بلسانه، فيقع أرضًا مرة أخرى، ويظن من ضربه أنه مات. ولكن (توريس) ينتظر حتى يبتعد (أبناء الرب) فقد ميزهم من ملابسهم السوداء وقسوتهم. وما إن ابتعدوا حتى ركض تجاه نهايه النفق، ليطلق صرخة صامتة من الألم.

* * *

*العام **1809***

يقول (الكولونيل ليموتسكي): "..فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير، لكن اللفتنانت (دي ليل) استمهلني قائلًا: "أيسمح لي الكولونيل أن أخبره أن مهمتنا لم تنتهِ حتى الآن؟!!" قلت له: "فتشنا الدير كله، ولم نكتشف شيئًا مريبًا. فماذا تريد يا لفتنانت؟!.. قال: "إنني أرغب أن أفحص أرضية هذه الغرف، فإن قلبي يحدثني بأن السر تحتها". عند ذلك نظر الرهبان إلينا نظراتٍ قلقة، فأذنت للضابط بالبحث، فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة عن الأرض، ثم أمرهم أن يصبوا الماء بكثرة في أرض كل غرفةٍ على حدة —وكنا نرقب الماء— فإذا بالأرض قد ابتلعته في إحدى الغرف.

* * *

"ابتعد أيها المشاكس. ماذا تريد؟" تقولها (سيفليا) في دلالٍ وهي تبتعد عن (توريس)، فيجاوبها بجديةٍ مصطنعة: "أريد أن أثبت نظريةً ما بتجربةٍ عملية".

– "وما هي هذه النظرية؟".

يضمها إلى حضنه بقوةٍ، ويقول: "يمكن لجسدين بشريين أن يكونا كتلة واحدة".

تفلت من بين ذراعيه، وتقول: "ومن صاحب نظرية الكتلة الواحدة هذه؟ بائع اللحم".

– "لا. ولكن عاشق يعتقد أن ما به من نار يكفي لإذابة المعدن".

يحاول إمساكها ولكنها تفتح الباب فيصطدما بنظرات الأب (توما).

تتحسس (سفيليا) بطنها وهي تتذكر هذا بينما تسير في الشارع شبه المظلم، لقد أنساها غياب (توريس) الحذر وخرجت من عزلتها معرضةً نفسها لكشف ما تخفيه أحشائها، لكنها قررت الذهاب للأب (توما) فهو من يشجعه لمساعدة (الموريسكيين) للهرب.

فجأة يتزايد ظلام الشارع، ترفع عيناها لترى جماعة (أبناء الرب) تسد الطريق، تحاول العودة ولكنها تصطدم بجواد (فردريك) ونظراته النارية وهو يشير إلى بطنها المنتفخ ويقول: "أنت متزوجة؟".

تهز رأسها نافية. فيهتف في شماتة: "لقد أخبرتكم مرارًا، إنهم أنجاس لا يتطهرون، أراهن أنها بذرة الشيطان تلك التي تسبح في أحشائك، فلا يرضى بلحمك الرخيص سواه... احملوها للديوان".

* * *

العام 1809

يقول (الكولونيل ليموتسكي): "فإذا بالأرض قد ابتلعته في إحدى الغرف، فصفق الضابط (دي ليل) من شدة فرحه، وقال: "ها هو الباب، انظروا"، فنظرنا، فإذا بالباب قد انكشف، كان قطعة من أرض الغرفة، يُفتح بطريقة

ماكرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جانب رجل مكتب رئيس الدير. أخذ الجنود يكسرون الباب بقحوف البنادق، فاصفرت وجوه الرهبان، وعلتها الغبرة. وفُتح الباب، فظهر لنا سلم يؤدي إلى باطن الأرض، فأسرعت إلى شمعة كبيرة يزيد طولها على متر، كانت تضيء أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين، ولما هممت بالنزول، وضع راهب يسوعي يده على كتفي متلطفًا، وقال لي: "يابني، لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال، إنها شمعة مقدسة". قلت له: "يا هذا إنه لا يليق بيدي أن تتنجس بلمس شمعتكم الملطخة بدم الأبرياء، وسنرى من النجس فينا، ومن القاتل السفاك!؟!".
وهبطت على درج السلم يتبعني سائر الضباط والجنود، شاهرين سيوفهم، حتى وصلنا إلى آخر الدرج، فإذا نحن في غرفةٍ كبيرة مرعبة، وهي عندهم قاعة المحكمة، في وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديدية ضخمة، وربطت بها سلاسل من أجل تقييد المحاكمين بها. وأمام هذا العمود كانت المصطبة التي يجلس عليها رئيس ديوان التفتيش والقضاة لمحاكمة الأبرياء. ثم توجهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية التي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض. رأيت فيها ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى القشعريرة والتقزز طوال حياتي. رأينا....

* * *

"إن هذان الاثنان هما المتبقيان.. أليس كذلك يا فردريك؟" يسأل الكاردينال (دي تركيمادا).

يشير (فردريك) إلى الحراس الذين يمسكون بـ(إيكر) ويقول: "بعدما نتتهي من أمر هذا اللعين. سنرى أمر الفتاة.... هل نبدأ الآن يا سيدي".

يجلس الكاردينال على المقعد الكبير ويقول: "حسنًا.. ولكن انتهِ منه سريعًا".

يقولها في الوقت الذي انهالت السياط الشائكة لتُمزِّق جسد المسكين، قبل أن يصرخ: "الرحمة".

يشير (فردريك) للحراس كي يكفوا ويقترب من (إيكر) ويقول: "إنه سؤال واحد. ما هذه اللغة الغريبة التي كتب بها هذا الكتاب".

من بين حطام أسنانه يجيب (إيكر): "ألخميادو".

يردد الكاردينال في دهشة: "ألخميادو؟!! وما معنى هذا".

– "إنها لغة جديدة ابتكرها الموريسكيون، يتعاملون بها سرًّا بعد تحريم استخدام لغتهم العربية.... إنهم أيضًا يكتبون كتبًا بها.. وأيضًا...".

يقاطعه الكاردينال ويقول: "حسنًا.. فهمت... زفوه إلى العذراء الحديدية".

يصرخ (إيكر) ويتوسل وهم يقتادوه إلى آلةٍ أخرى للتعذيب على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة. ألقوه فيها، وأطبقوا عليه بابها، فتمزق جسده إربًا.

"التالية... دعونا ننتهي من هذا" يقولها الكاردينال في ضجر. فيأتي الحراس بـــ(سفيليا) وقد انغرست كلاليب في ثدييها يجذبونها منها. ويلقونها تحت قدمي (فردريك) الذي ينحني ليسألها: "هل كان الشيطان هو الذي يضاجعك؟".

تنظر إلى الأرض ولا تجيب، فيلتفت (فردريك) إلى الكاردينال ويسأله: "هل نلقي بها للعذراء؟".

"لا... فلتُحرق غدًا". يقولها الكاردينال وهو ينصرف قبل أن يستدرك: "وابقروا بطنها كي يرى الناس جميعًا ابن الشيطان".

* * *

العام 1809

كتب الكولونيل (ليموتسكي) في مذكراته: "وصل الخبر إلى مدريد فهب الألوف ليروا وسائل التعذيب، فأمسكوا برئيس اليسوعيين ووضعوه في آلة تكسير العظام فدقت عظامه دقًّا وسحقتها سحقًا، وأمسكوا كاتم سره وزفوه إلى السيدة الجميلة وأطبقوا عليه الأبواب فمزقته السكاكين شر ممزق، ثم أخرجوا الجثتين وفعلوا بسائر العصابة وبقية الرهبان كذلك. ولم تمض نصف ساعة حتى قضى الشعب على حياة ثلاثة عشر راهبًا، ثم أخذ ينهب ما بالدير..

بينما جلست أقرأ ما دُوِّنَ في هذه الوثيقة عن إحدى محاكمات التفتيش".

تقول الوثيقة:".. وبعد أن اجتمعت الجماهير لتشاهد حرق زوجة الشيطان، بدأ الكاردينال (دي توركيمادا) في تلاوة الحكم: فليرحم الرب الخطاة..".

* * *

ظل ما تبقى من جسد (سيفليا) يرتعد في خوفٍ وهي تُساق مقيدةً للمنصة التي ستُحرق عليها. قيدت في العمود الذي يتوسط المنصة. بينما يواصل الكاردينال الحديث: "إنها سيفليا.. أو سلمى قبل التنصير... زوجة الشيطان... تقدم يا فودريك وابقر بطنها ليرى الناس جميعًا الثمرة المحرمة التي كانت ستنبت في هذه الأرض النجسة".

يتملكها رعب هائل و(فودريك) يقترب بسكينه، ومع أول طعنة من سكينه، شعرت بطمأنينة هائلة تتملكها، بعد أن شاهدت (توريس) وهو يقف وسط الجمهور. واصلت دماؤها النزيف، وسقط جنينها أرضًا..

* * *

لا نزال د ع الوثيقة التي عثر عليها (الكولونيل ليموتسكي): "صُعق الناس من الدهشة.. عندما تبينوا تكوين الجنين. الذي يحمل قرنين في رأسه. وأقـــدام تيس... وهنا صرخ الكاردينال: أرأيتم؟ إنه ابن الشيطان....

ولكن هناك رواية أخرى تقول إن هذا لم يحدث.. ولكن.."

* * *

"ولكنه طفل عادي يا سيدي" يقولها (فودريك).. فيجاوبه الكاردينال: "إن هذا لا يصنع فارق... إنها غير متزوجة.. أي أن هذا الطفل ثمرة محرمة أيضًا".

ويلتفت إلى (سيفليا) التي تهاوى جسدها أرضًا رغم القيود ليسألها: "من والد هذا الطفل؟".

تنظر إلى المكان الذي كان يقف فيه (توريس) فلا تجده، فتقول بصوتٍ واهن: "الشيطان هو والد هذا الطفل".

يلتفت الكاردينال إلى (فردريك) ويقول: "أرأيت؟! احرقها".

لكن فجأة يخترق (توريس) الحراس ليصل إلى المنصة، وينسى لسانه المقطوع ويحاول أن يتكلم. ولا تساعد كفه السليمة المتبقية كي يشرح. فتهاوى قدميه من العجز وتغسل دموعه رأس (سيفليا) على صدره بينما تحتضن هي صغيرها.

خيم الصمت على الجميع. وتصاعد الدخان الأسود من المشاعل المحيطة بالساحة الكبيرة. لقد فشل الجميع في فهم ما يحاول قوله. واندفع (فريدريك) بجسده الضخم ليمسك بجسده الهزيل وهو يصرخ: "إننا لا نفهم ما تقول.. إنك تُعطل سيف أبناء الرب".

"أنا أعرف ما يريد أن يقول" التفت الجميع إلى صاحب الصوت في دهشة.

يتقدم الأب (توما) في ثبات قبل أن يكمل: "إنه زوجها".

يهتف الكاردينال في دهشة: "ماذا؟ كيف هذا؟ إنها على غير دينه. أم أنها تزوجته عندما كانت تدعي إنها تنصرت؟".

يهز الأب (توما) رأسه نافيًا وهو يقترب من (توريس) و(سيفليا) ويقول: "لم تقبل أن تتنصر بالفعل، فأصبح المسكين في حيرةٍ من أمرهِ، فنصحته بأن يُسلم كي يتزوجها".

يشهق الجمهور في دهشة. ويصرخ الكاردينال في غضب: "نصحته أن يترك دينه من أجل امرأة؟!!! أي رجل دين أنت؟".

يجاوبه في هدوء: "رجل دين، يدرك أن الله محبة".

= "إنك غير جدير بأن تكون خيط في عباءة الرب".

- "الرب رحيم".

= "الرب رحيم ولكنك لا تتمسك بحباله".

- "أنا أتمسك ببقايا ما تركتموه من تعاليمه".

= "سفسطة. هراء. هرطقة. لا ينسكب من فمك سوى كفر".

- "ما ينسكب من لساني، يأتيَ من قلبي".

= "لا فائدة من الحديث معك. أحرقوه معهم".

يبتسم الأب (توما) ويقول: "لم تحرق النار سوى الحبال التي آلمت جسد إبراهيم".

* * *

تقول الوثيقة: "إنه من بين النيران سمع البعض الأب (توما) يحتضن (توريس) و(سيفليا) وينظر إلى السماء ويقول: "أجاب يسوع (مملكتي ليست من هذا العالم)".

من: مايو **2006**
حتى:**2007/2/24**

الأخت هناء ترعاك

(1)

أمسك يدي وهو يقتادني في أولى خطواتي داخل هذا المكان، أشار حيث تقف هي وقد أولتنا ظهرها، وقال: "من الآن فصاعدًا... الأخت هناء سترعاك".

استدارت لأراها لأول مرة، فما إن وقع بصري عليها حتى صرخت وأنا أجري بعيدًا: "يا ماما".

بينما اكتفت هي بابتسامة.

(2)

أنظر لوجهي في المرآة، لا أعرف لماذا يبدو وجهي هكذا؟ ألهذا يعتبرني الجميع أبلهًا؟ ولكني لا أشعر بهذا.

أنظر من خلف الحائل الزجاجي، الكل متجمع للاحتفال بعيد ميلاد أمير، ألصق أنفي بالزجاج ولكن لا أحد يشعر بي.

"لماذا تقف وحيدا؟"

أنظر خلفي لأراها، أجري لعنبرنا أدفن نفسي تحت الأغطية، أكتم أنفاسي كي لا تشعر بي. لو كان سريري خشبيًا ذا ملاءات طويلة لاختبأت تحته. أسمع صوت الباب يُفتح ثم خطواتها تقترب، أتشبث بالغطاء على وجهي، تحاول أن تزيحه برفق ولكن لا تستطيع.

"هل نمت بهذه السرعة؟ تصبح على خير"

(3)

"تلك الشخصيات تكون كالمحار، غلاف صلب قاس وجوف لين. لكن لن تعلمي أبدًا ما بداخلها إلا لو فتحت هي صدفتها بنفسها".

تقولها (هند) لهناء الجالسة معها في الحديقة تراقبان الأطفال وهم يلعبون.

يجلس وحيدًا يخطط في الأرض بفرعٍ صغير.

"أنا أيضًا درست علم النفس، هو يتخيل في خطوطه تلك كل الأشكال الممكنة والخرافية، فلا حدود لخيال الأطفال، ولكن أن تتحول تلك الخطوط لأشكالٍ مفهومة بالنسبة لنا فهذا هو الأمر الصعب".

(4)

"حضرتك طلبتني؟".

لا يلتفت إليها ويواصل تلميع لوحات الشرف والكوؤس.

"قلت لك من قبل أنك مسؤولة عن النصف الأول للعنبر الثالث فقط، ولكن يبدو أنك تتصرفين بهواكِ".

لا تفارقها ابتسامتها الهادئة وهي تجاوبه: "أنا أعتبر كل هؤلاء الأطفال مسؤوليتي، ولا فارق بين النصف الأول للعنبر الثالث، والربع الأخير للعنبر الأول".

"هناك نظام ولا بد أن تتبعيه، مفهوم. هذه آخر مرة تتكلم في هذا الموضوع".

(5)

الكل يحاصرني في ركن العنبر البارد البعيد عن شموس الأمان، الأيادي تقدم لي لكماتٍ بسخاء، الأرجل تبعث ليّ ركلات بكرمٍ مبالغ فيه. أقاوم في البداية، ثم أتقوقع على نفسي.

"كفّوا عن هذا"، يأتي طوق صوتها لينتشلني، أرفع عينيّ لأراها تقترب ويبتعدون.

يتركونني جميعًا، ومازلت متقوقعًا على نفسي في الركن، تمد يدها لي، أترك

تقسي لها.

(6)

ليلة تكدير أخرى على الجميع. يتسلل من الفراش إلى الحديقة، تحت عمود الإنارة الوحيد يمسك بقطعة من الطين ويبدأ في التشكيل.

"ماذا تفعل عندك؟"

ينظر للخلف مرتاعًا. يكاد يجري، يكاد يخفي ما كان يفعل، ولكن يجمد في موضعه.

تجثو لتمسك بالتمثال الصغير. تتأمله: "أنت من صنعت هذا؟" تتكون ابتسامة على وجهها. تنتقل عدوى الإبتسام له.

تمسك بيده الصغيرة وتأخذه لغرفته.

(7)

أدفع الباب بحذر وأتسلل للداخل.

"بعد ذلك لا أعرف هل يصدِّقني هذه المرة أم....؟".

تنتفض أبلة هند بغتةً عندما تراني، بينما تكتفي أبلة هناء بقولها: "أمل! ألم أقل لك أن تطرق الباب قبل أن تدخل؟".

أثبت في مكاني، تحمر وجنتيَ، أحاول الكلام فلا أستطيع سوى: "إص.. إص.. الصلصال".

ضحكة عالية من هند تطلقها بعد تنهيدة: "وماذا ستفعل به؟".

ترد أبلة هناء عني: "أمل فنان، وأنا أساعده".

تخرج علبة من حقيبتها وتعطينيها.

(8)

أصبح له ركن في العنبر، لا أحد يعرف ماذا يصنع، فهو تحت حماية الأخت هناء.

الكل يتجنبه، ولكن لا يهتم.

تجلس في الفصل لتشرح للأطفال، تشم رائحة غريبة ثم تدور الدنيا بها.

(9)

الراية الصفراء مرفوعة في الفناء، أتعلق بأبلة هند لأسألها عن معنى هذا: "أبلة هناء مريضة".

أسألها بلهفة: "أين؟".

"في غرفتها، لماذا تسأل؛ ممنوع..... " أجري فلا أسمعها.

(10)

"هل تعلم يا أمل ما هو أهم شيء في الحياة؟".

تقولها وهي تنظر للسقف، يصمت فتجيب: "الحياة"، تصمت ثم تكمل: "ولكن حياة دون أمل لا تكون سوى موت مؤجل".

تبدو على محياه السعادة: "أنتِ سليمة؟ إذن لماذا كانت الراية الصفراء؟".

تعتدل في فراشها ثم تقوم معه: "كنت مريضة بعض الشيء، أريد أن أتمشى قليلاً معك، هل تسمح لي؟".

يتجهان معًا للعنبر..

(11)

"أنت الذي صنعت هذا؟"، تمسك نموذجي بين يديها وهي تبتسم. أهز رأسي إيجابًا. "هذا جميل، بل هذا رائع، كيف تعلمت هذا وحدك؟". أصمت، فتتجه بي ناحية النافذة، ننظر للفناء لتشير إلى الصخرة الكبيرة هناك: "هل تستطيع تحويل نموذجك إلى تمثالٍ كبير؟"، ثم في خيبة أمل: "آسفة، ولكنك لم تتدرب بعد على ذلك".

"أستطيع"، أجيب بصوتٍ حاسم.

(12)

يسير (أمل) في الطرقة الطويلة شارد الذهن، يقع بصره من خلال النافذة على الراية الصفراء. لحظات تمر قبل أن يفهم قبل أن ينطلق نحو هدفه الوحيد، يصل لغرفة الأخت هناء، يجد الجميع هناك، يجد الجميع متجهمين. وعلى الفراش كانت هي في أقصى مراحل الحمى، وبدأت تهلوس بقولها: "يجب أن

تتغلبي على داء السرقة وتعيدي ما سرقتيه يا نوال.... لا، لا تصدقيه يا هند هو لن يتزوجك.... يا.. يا منير كف عن زياراتك الليلية لـــ..".

يقاطع هلوستها الأخ الأكبر: "دعوها الآن تستريح".

يخرج الجميع دون مناقشة.

(13)

أقف في ركن الطرقة مستجمعًا شجاعتي لزيارة أبلة هناء، أكاد أتقدم، ولكني أرى الأخ الأكبر يخرج من غرفتها.... ويده ملوثة بالدماء.

(14)

الراية البيضاء مرفوعة؛ الراية البيضاء التي تعني موت أحدهم. أندفع نحو غرفة أبلة هناء، أفتح الباب في تردد خائف، أكذب عينيّ عندما أراها ساكنة الجسد على سريرها. أضع كفي على فمي مانعًا صرختي. أتسلق سريرها العالي، أنظر لوجه الملاك النائم. أصرخ: "استيقظي. لا تموتي. أرجوكي".

لاتنطق، أتحسس الدم الجاف على فمها، وأقول: "سأفعل أي شيء مستحيل لتعودي للحياة، سأفتح عيناي في وجه الأمطار، سأمسك بيدي الجمر المشتعل، سأفعل أي شيء.. أي شيء، لكن أرجوك... لا تتركيني، خذيني معكِ".

(15)

ما زال ولا يزال يلمع في كؤوسه ولوحات الشرف. عندما تدلف هند لحجرته وتسأله: "هل علمت بما حدث للأخت هناء؟".

– "بالطبع، مرضها أمر يؤسفني".

= "أنا لا أتكلم عن مرضها، أنا أقصد لسانها المقطوع".

– "ماذا؟!! لسانها؟!".

= "نعم".

يهمس وهو يمسح لوحته العملاقة في حنان: "كان لا بد من غلق صندوق بندورا".

(16)

تفتح عينيها، تتحرك متململة، لا أكاد أصدق: "أنتِ... أنتِ حية". تحاول أن ترد لا تستطيع، تنزل دموعها لتختلط بدموعي على وجهها، تشير لي لآتي لها بالورقة والقلم، تبدأ في الكتابة.

(17)

ربما كان المشهد يبدو من الداخل مضحكًا، ولد صغير ينحت في صخرةٍ ضخمة ممسكًا أجنة ومطرقة بيديه الصغيرتين، ولكن لم يكن يره أحد لأن المشهد كان مغطى بستائر طويلة.

(18)

تكتب: (لماذا فعلت هذا؟).

يرد بهدوء: "لم أفعل شيئًا".

تكتب: (إذن من الذي يريدني أن أصمت؟).

يهز كتفيه ويقول: "فكري، من أكثر شخص يستفيد من صمتك؟".

تشير إليه وهي تكتب: (أنا أعرف).

لا يفارقه هدوءه وهو يقول: "وماذا تريدين؟".

تكتب: (ستائر، أدوات نحت).

(19)

تكتب: (عمل جيد يا أمل).

أقول منفعلًا: "ولكننا لم ننتقم منه".

تكتب: (لن نستطيع الحصول على كل شيء نريده).

أرد: "لكنني.. لكنني كنت أريد... أريد أن أفعل ذلك من أجلك".

تكتب: (لن تستطيع، هناك أشياء أكبر من قدراتك، تعَلم أن لا تفكر فيها).

أقول دامع العينين: "ألأنني ضعيف يجب أن أتخلى عن أحلامي، لماذا كان يجب أن

أولد إذا ما كنت سأظل ضعيفًا؟ لماذا خُلِقت ضعيفًا، مكروهًا، منبوذًا؟".
تكتب: (حتى يكون لانتصارك مذاق آخر).

(20)

كرة عالية مسددة بقوة تقفز لتلتقطها. تقع أرضًا ثم تقف لتقذف بالكرة للأطفال الفرحين.

تلتقط أذنها صوت أحد المشرفات: "مازالت تتصور أنها طفلة صغيرة!" تعقبها ضحكة ساخرة من المشرفة الأخرى.

تواصل لعبها مع الأطفال.

(21)

تربت على كتفي فأستدير ناحيتها تاركـًا أدوات النحت، أخذ الطعام الذي أحضرته. تتأمل ما تم من العمل. تكتب لي: (عمل جيد حتي الآن يا أمل).

أنظر لها في إعجاب وأقول: "فعلًا! فعلًا يعجبك؟".

تكتب: (وهل لم أصّدقك الحديث من قبل؟!).

أستجمع نفسي وأقول: "لم أتصور نفسي مطلقـًا... بعيدًا عنكِ، أريد أن أكون معك دائمًا، هل يمكن أن.. أن.. أتزوجك؟".

تكتب لي وهي تضحك دون صوت: (وهل يمكن أن تتزوج الساحرة العجوز بالأمير الصغير؟).

أهتف بفرح: "أنا أمير؟ (ثم أستدرك) ولكنك لست عجوزًا، أنت تلعبين معنا الكرة".

تكتب: (يا حبيبي الصغير، هناك أشياء مستحيلة في هذا العالم).

أقول: "حسنًا، اقتنعت. ولكني لن أتزوج غيرك".

(22)

تمر سحب الأيام في سماء السنين، تمطر آمالًا تروي الأرض العطشى للحلم.

يتجمع الأطفال بالقرب منه، بينما هي بعيدة بعض الشيء.

عشر سنوات مضت حتى يزاح الستار عن التمثال.

فوق القاعدة يدان حجريتان تطلقان طائرًا للفضاء. على القاعدة مكتوب: (كل الطيور لها الحق في الطيران، حتى التي تغرد خارج السرب).

يدير عينيه ناحية نعشها الذي يستقر غير بعيد، يشارك زملائه في حمل النعش.

(23)

تربت يد على كتفي. يوضع كف صغير في يدي لطفلةٍ صغيرة. يقول لها: "من الآن فصاعدًا... الأخ أمل سيرعاكِ".

٢٣/٤/٢٠٠٦

الجنتلمان

يدخل القاتل الغرفة شحيحة الإضاءة فوق ذلك السطح المهجور، ليجد (الجنتلمان) جالسًا بهدوء أمام مائدة صغيرة بكامل هيئته وأناقته. بينما تعبث يداه بسيجار كوبي وقداحة.

يعدل القاتل من بذلته السوداء ويجلس بهدوء على الطرف الأخر من المائدة، يرتدي قفازين، يخرج مسدسه ذا كاتم الصوت ويضعه أمامه على المائدة.

يرفع الجنتلمان رأسه بهدوء ليتأمل (القاتل) قليلًا: "أنا كل اللي عايزه.. إني اختار الطريقة اللي هموت بيها".

يهز (القاتل) كتفيه بمعنى كما تريد.

"الحرق"، يقولها (الجنتلمان) مفكرًا.

يتذكر والدته وقد ربطته بإيشارها الحريري إلى ساق السرير، لم يكن يتذكر جرمه، ولكنه يتذكر صراخها وعويلها وقد تشنج جسده من كثرة البكاء.

تقترب منه بشمعة تلسع بها يده.. فيصرخ من الألم والدهشة.

"إنت عارف إيه أكتر حاجة كرهتها بعدها؟!" يسأل (الجنتلمان) (القاتل) فلا يلمح أي اهتمام في عينيه المختفية خلف النظارة الداكنة، فيكمل: "المثل بتاع بدل ما تلعن الظلام قوم ولع لك شمعة".

يسأله القاتل ببرود: "أفهم من كده إن اختيار الموت حرق.. محذوف؟!".

ينظر له (الجنتلمان) بشرود.

صراخ.. صراخ.. وعويل... اتهامات.. احتقار من كل الناس.. مهما حاول الاختباء في أناقته الشديدة لا يستطيع ترتيب ما حدث، هل كان غضب المدير أولًا، أم ذلك السمج الذي داس على قدمه دون قصد في محطة مترو الأنفاق، يبادر بالاعتذار كأي جنتلمان، لكن يقابلها السمج بسخافة رده:

"أسف؟!! وأصرفها منين أسف دي؟".

لا يجرؤ (الجنتلمان) على الرد، حتى أغلق المترو أبوابه، فهتف: "تصرفها منين؟!! من بنك الحظ يا روح أمك".

يحاول تذكر ترتيب أحداث هذا اليوم، لا يتذكر سوى وقوفه أمام باب منزله، وسماعه لركض أطفاله الذين يتسابقون لفتح الباب له.. فقرر ما سيفعل.

"إيه قرارك؟"، يسأله (القاتل).

– "قررت ساعتها إني..".

يقاطعه (القاتل) في ملل: "مش قصدي ساعتها قررت إيه... أنا أقصد دلوقت.. قررت إيه؟".

– "إوعى تزهق مني... أنا دافعلك فلوس عشان أموت بمزاجي".

= "ما هو عشان دافعلي فلوس.. لازم أنفذ اللي قبضت تمنه".

– "إنت مستكتر عليا إن حد يسمعني.. حتى وأنا بموت؟!".

= "إيه رأيك.. في الخنق؟!".

"الخنق؟" يرددها (الجنتلمان) مشدوهًا..

كان طفلًا مدللًا في صغره... أنيقًا جدًّا قياسًا بعمره في ذلك الوقت. يخرج طعامه من الكيس.. ويشرع في إلتهامه في ركن الفصل. قبل أن يغيم عليه ظل طفل ضخم، يبدو عليه الغباء والهمجية الشديدان، يخطف منه كيس الطعام ويضع رأسه فيه. ويُحكِم إغلاقه.

لم يدري حينها أكثر ما ضايقه، هل حاجته الشديدة للهواء؟ أم رائحة الطعام في الكيس؟

"بلاش خنق"، يقولها (الجنتلمان) وهو يتراجع في مقعده.

– "أنا وقتي ضيق".

= "وقتك ضيق؟!! ليه؟ فيه ناس كتير عايزة تموت؟!".

لا يبدو أنه سمع سؤاله: "ياريت تقرر عايز تموت إزاي؟!".

= "إيه رأيك في حادثة عربية؟!".

– "ما ينفعش أقتلك في الشارع وسط شهود وزحمة".
= "طب وتفجير أنبوبة بوتجاز؟".
– "ده ممكن يؤذي ناس تانية... وأنا واخد تمن إني أقتلك إنت بس".
يشرد الجنتلمان مفكرًا، فيشعل سيجارًا ويناول القاتل سيجارًا، فيرفض: "مينفعش أسيب الدي إن إيه (DNA) بتاعي على سيجار في مكان الحادث".
= "إنت حريص قوي".
– "لازم.. عشان أعيش أطول".
يضحك (الجنتلمان) كثيرًا حتى يكاد يختنق بدخان سيجاره: "غريبة.. قاتل وعايز يعيش؟!".
– "أعتقد إني أكتر واحد عارف قيمة الحياة... إيه رأيك في الغرق؟ تموت غرقان؟".
ينهض (الجنتلمان) ويصرخ في فزع: "لأ... غرق.. لأ".
يعدل (القاتل) وضع نظارته ويسأله في شبه اهتمام: "إنت عايز تموت ليه؟ وخايف من الغرق كده ليه؟".
يتمالك (الجنتلمان) نفسه قليلًا: "هقولك.. بس خليك فاكر... مفيش حد بريء".
يهز (القاتل) رأسه موافقًا.

* * *

ينظر لزوجته وأطفاله الثلاثة الذين انتهى من تقييدهم... جزء داخله يتلوى ليفك وثاقهم، ولكن تسحقه رغبته العارمة في فعل التالي.

يحمل ولده الأكبر إلى الحمام، ولده الذي منحه اسم والده الممحي من ذاكرته.

كان دلو الغسيل قد امتلأ عن آخره بالماء.. يغطس رأس ولده في الدلو، يتلوى الصبي الصغير طمعًا في النجاة، وتحاول رأسه الصغيرة طلب الهواء، لكن عضلات والده التي تشنجت منحته الراحة الأبدية.

يخرج رأس الصبي ويحمله إلى ركن الحمام. يجلس أمامه لا يعرف بماذا يجب عليه أن يشعر الآن.. هل تملأ جوانحه السعادة بما فعله؟ أم الندم؟ الندم الذي يمنعه عن إتمام ما اعتزم.

ظل يفكر.. ويفكر.. ويفكر... بينما يُغرِق ابنه الثاني.

* * *

يُخرج (القاتل) منديلًا يمسح به نظارته قبل أن يلبسها مرة أخرى: "عشان كده مش عايز تموت غرقان؟".

= "مش عارف".

– "طب وإنت عملت كده ليه؟".

= "مش عارف".

– "مش عارف إيه؟ هل مثلًا خسرت فلوسك في البورصة؟".

= "لأ".

– "طب مراتك كانت بتخونك؟".

= "الخيانة بمعنى إيه؟ هي لو كانت باردة وهي في حضني.. تبقى خاينة؟".

– "ماليش في الفلسفة.... طب وولادك؟".

= "مراتي كانت بتحبني قوي".

– "ولادك قتلتهم ليه؟".

= "وأنا كمان كنت بحب مراتي قوي".

– "خفت على ولادك مثلًا يعيشوا لوحدهم من بعدكم؟".

= "وهقولك دليل يبيِّنلك أنا كنت بحب مراتي قد إيه".

– "أنا بتكلم عن ولادك".

بعصبية يصيح: "وأنا بتكلم عن مراتي... أنا بتكلم عن ولادي.. وإنت بتتكلم عن مراتي.. مفيش حد بيتكلم عني".

يحاول القاتل توضيح أن العكس ما كان يحدث، لكن الجنتلمان يدق على المائدة بعنف: "هقولك دليل.. أنا كنت بحب مراتي قد إيه".

يخفض القاتل كتفيه باستسلام: "إيه؟".

يفجر دهشته بقوله: "وديتها الحمام".

* * *

يرغم الكمامة التي تمنعها من الكلام. يرى في عينيها رغبة الذهاب إلى الحمام، فيعطيها الإذن، ينهضها.. فتقافز بسبب قيود قدميها كالأرنب العملاق، مما يجعله يضحك ويصفعها على مؤخرها كالأيام الخوالي.

يجلسها على قاعدة الحمام بعد أن قطع طرف ثوبها. يتمزج بولها بدموعها. يدفن رأسه في صدرها وهو يشغل صنبور الماء: "فاكرة لما كنت مرة بقولك تشكر كل اللي ساهموا في إني أقولك بحبك؟!! كان دمها خفيف صح؟ فاكرة؟".

تهز رأسها في أسى لرؤية ولديها، في حين يرفع رأسه بغضب، ويهتف في غل: "مش فاكرة؟!.. يا خاينة.. يا خاينة".

مازجًا قوله بكلابات أصابعه حول عنقها وهو يواصل الصراخ بكلمات لم يفهمها هو شخصيًا.

تتسرب الحياة منها رويدًا.. رويدًا... حتى تذبل تمامًا.

فيخرج ليحضر طفله الرضيع: "أنا بحبك قوي... وعشان كده هبعتك الجنة تستناني".

يبكي الطفل الرضيع عندما يمسه الماء البارد، فيقول له في حنان: "ما تخافش، بابا هيحصلك.. مش هيتأخر عليك".

* * *

يعبث القاتل بجيب بذلته الداخلي ويخرج منديلًا ثانيًا. بينما يواصل الجنتلمان: "وبعدين شلت مراتي على ضهري لحد السطح.. ولقيت برميل فاضي حطتها فيه.. وبعدين صبيت عليها أسمنت لحد ما البرميل اتملا.. عشان أحافظ عليها... أما ولادي بقى...".

تقاطعه الطلقة التي صنعت ثقبًا ثالثًا في جبهته، لتهوى رأسه بقوة على

المائدة وتلوث دمائه المال الموضوع عليها، بينما يعيد القاتل مسدسه إلى جيبه بعد أن مسح الدماء من عليه.

ويترك النقود في موضعها ويخرج.

ثم يعود ليأخذ نصفها... وينصرف.

٢٨/٠٩/٢٠١٠

الحب في زمن الخنازير
Love in the time of khanzeer

(ح فور حمدتة)
H for Hamadta

* * *

ينظر لنفسه في المرآة "كان ممكن أعيش حياة أحسن من كده!!".

يركض برهان خلفه بكل ما أوتي من قوة، لقد أصبحت مسألة موت أو حياة مشوهة، لحسن الحظ لا تقوى ساق العجوز على حمله إلى أكثر من الزقاق المسدود، يتشبث بكتفه وهو يلهث: "بتهرب من إيه؟".

يجيبه العجوز وهو يتنفس بصعوبة: "من اللي بنهرب منه كلنا".

لا يقوى برهان على السؤال، فيكمل الطبيب العجوز: "الماضي".

* * *

ح1:

"أوبشن يا يونس" ينطقها بثقةٍ مزيفة وهو يتأمل ملابسه في مرآة صالة الاستقبال الخاص بالشركة. يحاول تذكر أي معلومة غير أنه مندوب مبيعات، كان من الغباء الشديد أنه لم ينظر في الكارت الذي أعطاه للسكرتيرة كي تدخله للمدير.

تخرج السكرتيرة على عجل، تسحبه من يده وتسرع الخطى: "بسرعة عشان انكشفت".

تصدمه الكلمة، فيشرع في الركض معها، ورجال الأمن يحاولون اللحاق بهما، يخرجان من مقر الشركة ويركضان بأقصى سرعة.

"فين عربيتك؟!" يشير إلى ما يظنه سيارته، تخطف المفاتيح من يده، يشعر أنه يشاهد ساحرًا، يفتح السيارة.. يجذبه إليها.. ينطلق به.. يفر من مطارديه،

يبدو أن هذه الشركة غير عادية.

تصل إلى منزله، ليلًا كان التوقيت، تسحبه غير فاهم إلى شقته، تغلق الباب، تلقي بنفسها على المقعد، يبدو عليها الإرهاق، يبدو بداخله التشتت، تنزع حذاءها ساخطةً، تقول: "لبس السكرتيرات ده بيخنقني.. وكمان الجري بالكعب الزفت ده عشان خاطرك قتلني.. مستني إيه.. ادعكلي رجليًا".

كالمسحور ينحني على قدميها ليمسكها: "إنتي مين؟!! والأهم أنا مين؟".

ببساطة تجيب: "حمدته".

بدهشة: "إيه؟!!".

بنفس البساطة تواصل: "ممكن تقولي حي.. حي فور حمدته.. زي في فور فندتا.. ولا هما الأجانب أحسن مننا يعني.. إحنا ولاد كلب.. ولاد كلاب إحنا".

- "ما تقوليش كده".

= "لالالا إحنا ولاد كلاب".

- "خلاص براحتك".

بغضب: "ما تحترم نفسك".

يمسك رأسه كي لا تقع في هوة الضياع: "إنتي مجنونة وأنا أكيد بحلم".

ينام كالطفل على الأريكة، بينما تغطيه هي... يقول لها قبل أن يسقط في الغيبوبة: "أنا هنام يمكن أصحى من الحلم ده".

* * *

د1:

يجلس أمام دنيا المذهولة عادةً.. المتألمة دومًا من النسيان.

= "إنت بتضيع وقتك معايا يا أستاذ برهان".

- "كل واحد مسؤول عن اختيارته يا دنيا... وأنا اخترت أفضل جنبك لحد ما ألاقي الدكتور سعيد والدك ونرجع لك ذاكرتك..".

= "أنا حتى مش متأكدة من اسمي أو اسمك أو حتى اسم والدي".

– "طيب ما تفكينا من جو التراجيديا دي.. أنا شايف في إيديكي رسمة.. يا ترى راسمة إيه؟".

تفتح الورقة أمامه فيجد عينين بطول الورقة.. عينين تدمعان.

يبتسم: "ما تقلقيش.. عمو برهان.. هيجيب أستيكة يسمح بيها كل الدموع دي".

* * *

ح2:

يفتح عينيه ببطء وبكل أمل، لكنه يجد امرأة غريبة تنام بجواره، تبرق في ذهنه الأفكار سريعًا، إنه لم يعد مندوب مبيعات الآن، إنه تاجر بورسعيدي.. تاجر بورسعيدي؟!!

نعم، هذا الذي في الصورة، وهذا الذي يقف عند الباب مذهولًا، يصرخ التاجر.. فيصرخ برهان، وتنتفض الزوجة من على السرير.

يصرخ به التاجر وهو يتناول سلاحًا ما، لم يركز برهان في التعرف عليه، بغضب يصرخ برهان: "بتخونيني؟! وفي بيتي؟!!".

ينظر إلى صورة التاجر ويكمل: "ع السرير وفي الصورة كمان؟!!".

يحاول التاجر الإمساك به: "إنت هتستهبل ياض... والنعمة لأقتلك".

يفلت برهان منه، يركض خارج الشقة، ويأكل الدرج في قفزتين، يجد حمدته تنتظر عند نهاية الشارع ومعها (فزبا)، يركب خلفها.. فتنطلق، بينما يحاول المعلم ورجاله اللحاق به.

أحد أهم مزايا حمدته أنها تجيد الهروب.

= "بس هفضل هربان لإمتى؟!".

– "لحد ما توصل".

= "والنبي بطلي فلسفة.. في حد يتفلسف وهو اسمه حمدته؟!... جبتيه منين

ده؟!".

- "أمي شِرشيرة..".

مقاطعًا: "إيه؟!! شِرشيرة، هي أمك دي كانت بطة؟!!".

- "هي من ناحية إنها كانت بطة، فالحق يتقال كانت.. هي سودانية مهاجرة لهنا.. ومكنش بيعيش لها بنات.. فلما جتلها أنا سمتني على اسم خالي حمدته عشان..".

= "بس بس بس.. إيه؟!! خلاص سؤال وزمن إجابته خلص".

- "طيب.. أمال حضرتك اسمك إيه بقى؟".

= "برهان.. برهان عبد ربه".

تنفجر من الضحك بشكل هيستيري أمام دهشته، تناوله ورقة مطوية: "دي وصيتي إديها لأهلي لو مت من كتر الضحك".

يأخذ منها الورقة ويضعها في جيبه: "أنا مش شايف كويس... هموت وأنام.. يمكن م.. آآآ.. هاوووم...".

يسقط نائمًا.

* * *

د2:

"أنا أكيد صامدة طول الوقت ده كله بسببك" تقولها دنيا بامتنان.

- "ما تقوليش كده".

= "لا لا هو فعلًا كده".

- "هو بصراحة كده.. بس أنا مش عايز أشيلك جميلة".

تضحك بصفاء كعادتها.. تمسك يده وهي تسأله: "أكتر حاجة نفسي أفتكرها... إني.. إني.. هو إحنا كنا بنحب بعض قبل ما أضيع ذاكرتي".

يسحب يده، يفكر مليًا قبل أن يجيبها مترددًا: "على الأقل كان واحد فينا بيحب التاني".

* * *

ح3:

"ع الدوما.. والتكا"، هكذا يغني مطرب الدرجة الثالثة في ملهى الدرجة الرابعة، لترقص حمدته، بينما ينقر برهان على الطبلة ببراعة لم يكن يتصورها في نفسه.

تنتهي فقرتهم فيعودان إلى البيت، تتخفف حمدته من قيود ملابسها، وتميل على برهان بإغراء: "مش يلا بقى؟!".

بغباء يسألها: "يلا إيه؟!".

= "أقولك إيه؟!! لو كنا متجوزين كنت قلتلك يلا نخاوي حمادة.. بس للأسف".

– "مفيش حمادة؟!".

= "إيه؟! إنت مودك النهاردة حصاوي ولا إيه؟!! إيه الغباء ده؟".

ينهض مبتعدًا: "حصاوي؟!! لأ.. لحد هنا وهرفس".

بدلال تلمس رقبته: "بلاش حصاوي دي لو بتزعلك.. بس وحياة كل حاجة وحشة مجمعتناش.. ما تقلبش على سيسي وتبوظ الليلة".

يواصل الهروب من لسعاتها: "إنتي عارفة أنا اسمي (برهان عبد ربه) جه منين؟!".

تزفر بضيق: "يعني هو حسني عبد ربه يا أخي؟!!".

– "لا بجد".

باستسلام: "جه منين يا محرو... يا محروس؟".

– "كان والدي الله يرحمه شغال في محل ملابس في الوكالة.. وكان كل يوم يشغل سورة يوسف أول مايفتح المحل.. كان بيحبها قوي... مع إنه كان فاهم حاجة غلط فيها".

يبدو عليها الاهتمام: "إيه؟! كان فاهم إيه غلط؟!".

= "كان فاهم إن لما امرأة العزيز راودت سيدنا يوسف.. هو رفض لما رأى برهان ربه.. إن برهان ربه... بني آدم.. شخص لحم ودم شافه سيدنا يوسف فما وقعش في الخطيئة".

تشرع في وضع ثيابها على جسدها بينما يكمل: "وبما إنه كان اسمه عبد ربه.. فكر إنه يسميني برهان... عشان أبقى برهان عبد ربه زي اللي في سورة يوسف... يمكن الاسم يحميني".

تبتعد عنه: "أفهم من كده إنك مش هتيجي؟!!".

يشير إلى الأريكة: "أنا هنام هنا... نامي إنتي في أودتك".

تتجه لغرفتها، بينما يستسلم هو لسلاح النعاس، تفتح غرفتها مرة أخرى: "طب لو ده برهان عبد ربه... مين دنيا دي اللي دايمًا بتحلم بيها؟!".

لم يجبها من أعماق النوم.

* * *

د3:

"إنت لازم تسيبني اليومين اللي جايين دول؟" تتعلق نظراتها الخائفة به.

- "لازم... عشان قربت أوصل للدكتور سعيد.. والدك".

= "ليه لازم؟".

- "عشان هو اللي معاه مفتاح السر.. وهو اللي بإيديه إن ذاكرتك ترجعلك".

= "طيب، مش هتشوف الرسمة اللي أنا رسمتها المرة دي".

- "طبعا.. وريني كده".

تعطيه ورقة صغيرة، مكتوب فيها: "دنيا بتحب برهان".

يمط شفتيه بإعجاب، ويقول: "جميل.. جميل.. بس برهان بتتكتب بالضاد مش بالميم".

بدهشةٍ طفولية: "إيه؟!!".

يضحك ويكمل: "بهزر".

ينظر إلى الاحتياج الشديد في عينيها: "عايزاني بعد ده ما أحاولش أرجعلك ذاكرتك.. لازم... صدقيني لازم".

يتجه إلى الباب... تستوقفه كلماتها: "مش لازم نفتكر".

* * *

ح4:

الاستيقاظ هذه المرة يختلف، قبل أن يفتح عينيه يعرف من هو، وأين يستيقظ، وماذا يفعل، يفتح عينيه.. فتملأ الدهشة أحشاءه: "أنا فين؟!!".

كان فيما يشبه بيوت المماليك.

تجيبه الجارية حمدته: "في بيت السحيمي يا مولاي".

= "إنتي بتهزري؟!! وعاملالي فيها جارية؟!! على أساس إني شهاب الديك قلاوظ؟!!".

– "أنا شخصيًا مش عارفة.. أنا بكون مكان ما أنت بتكون".

= "إوعى تكوني يا بت يا حمدته أنا!".

– "إنت ازاي يعني؟!! هو إنت بالحلاوة دي؟!".

= "أنا قصدي زي فيلم (fight club) كده.. يعني تكوني الجانب الخفي في شخصيتي.. الجانب المجنون المنطلق.. اللي..".

تشير له ليهدأ، وتلتقط تفاحة، تشير له بها: "تضرب تفاح؟! يمكن تهدي أعصابك".

– "مش عايز تفاح".

= "طيب أجيب لك رمان؟".

– "مش عايز رمان".

= "أصلي في جو المماليك ده.. ما ينفعش أجيب لك فخفخينا".

- "أنا عايز أفهم".
= "تفهم إيه يا مان؟!".
- "أفهم اللي أنا فيه.. ايه اللي بيحصلي ده كله.. مرة أبقى مندوب مبيعات.. مرة تاجر بورسعيدي.. مرة لا مؤاخذة أبقى طبال.. ده غير المرات اللي كنت فيها محامي.. وزبال.. و.....".
تقاطعه وتسأله برزانة: "إنت قريت قصة الحب في زمن الخنازير؟!".
= "لأ.. هو فيه قصة كده؟! أنا اللي سمعت عنها (الحب في زمن الكوليرا) لماركيز".
- "طيب.. أنا هحكيهالك.. بص يا مان.. القصة كانت بتدور في افتراض إن وباء أنفلونزا الخنازير اتفشى بصورة مفزعة.. حالة الوفيات زادت بشكل رهيب.. المقابر الجماعية اللي الكل كان خايف منها انفتحت زي بق وحش كاسر ما بيشبعش... وفي الجو الأسود ده.. كان في واحدة بتحب واحد.. لكن هو مكنش بيحبها.. حاولت معاه كتير وفشلت.. فمكنش قدامها غير حل واحد بس".
باهتمام يسأل: "إيه؟!".
= "إنها تعمله عمل.. راحت لساحرة شريرة.. وحكتلها على الليلة من أولها.. فالساحرة الشريرة طلبت منها تجيب لها حاجة من أتره... لكن هو في الوقت ده كان مريض ومحجوز في المستشفى.. فطلبت من ممرضة إنها تجيب لها حاجة من أتره.. وفعلًا جابت.. وفعلًا عملت العمل... لكنه مات.. وعاشت البنت أيام سودا حزينة على حبيبها... وبعد مدة بدأت عفاريت كتير تطاردها.. عارف ليه؟!".
بخوف: "لأ.. ليه؟!".
- "عشان الممرضة جابت أتر كانت استخدمته مع كل المرضى اللي كانو في المستشفي.. واللي بعدين ماتو واتدفنو في مقبرة جماعية... فكل دول وقعوا في غرام البنت".

= "يا خبر أبيض... بس.. بس أنا شعر رجلي وقف من الخوف.. بس ده علاقته إيه بقصتي".

– "هو أنا كنت بحكي لك الحكاية دي عشان تنام".

بدهشة: "نعم؟!".

تنهض: "أسيبك تنام عشان بكرة وراك يوم صعب... بس حاول تفهم اللي حكيتهولك".

= "بقولك يا حمدته.. هو بعد التجربة بتاعة بكرة.. هشوفك تاني؟!".

– "تصبح على خير يا برهان".

* * *

د4:

"أنا كنت حاسس إني على شعرة.. وهتجنن".

يقولها برهان للدكتور سعيد.. وهما يراقبان دنيا الراقدة في غيبوبة التجربة.

– "اللي إحنا هنعمله دلوقت خطر جدًا يا برهان.. أنا لولا إصرارك مكنتش وافقت إني أعرَّض بنتي للخطر تاني".

ينظر برهان إلى حسين مساعد الدكتور سعيد وهو يعمل على أجهزة شديدة التعقيد.

– "إنت عارف إن تجربتي الأولى كانت عشان تنسى ذكرى كانت مدمرة نفسيتها طول عمرها.. ذكرى إنها شافتني بخون والدها.. كان كل المقصود من التجربة ده.. إنها تنسى الذكرى دي بس... مش ذاكرتها كلها".

ينظر برهان إلى الورقة المكتوب عليها (دنيا بتحب برهان): "إنت عارف إني بحب بنتك؟".

– "أيوه".

= "عشان كدة قبلت إنك تجرب عليا أجهزتك وتجاربك دي".

– "مش إنت بس اللي جربت عليه".

= "عارف.. يمكن كل الحاجات اللي عشتها اليومين اللي فاتو دول،

كانت من ذاكرة الناس اللي جربت عليهم".

- "ممكن، بس فيه ناس من اللي إنت حكيتلي عنهم أنا معرفهمش".

= "هي في واحدة بس عايز أتأكد هي موجودة ولا لأ؟".

يقطع عبارته إثر إشارة من الدكتور سعيد إلى مساعده حسين، يدخل الثلاثة إلى الغرفة بينما تستيقظ دنيا.

يقول برهان ساخرًا: "لو قالت أنا فين؟ أو أنا مين؟ تبقى ذاكرة الأفلام العربي رجعت لها".

لكنها تنظر إلى حسين وتقول بهيام: "حسين!".

يتنحنح برهان بإحراج: "برهان.. طب وبالنسبة لبرهان؟!".

لا تعيره انتباهًا، بينما تمسك يد حسين الذي يقول: "إنت فاكراني يا حبيبتي؟!".

تجيبه بسعادة: "طبعًا يا حسين.. هو الواحد ممكن ينسى اللي بيحبه؟".

= "بتحصل". يقولها برهان حانقًا، قبل أن يقترب منها: "بجد يا دنيا مش فاكراني؟!".

- "أنا أسفة... بس هو مفروض أفتكر حضرتك؟!".

= "هي بما إنها حصلت حضرتك.. يبقى مش مشكلة".

يقولها ويسحب الدكتور سعيد إلى خارج الغرفة: "هو إيه اللي حصل؟!".

= "هي ذاكرتها رجعت.. بس تقريبًا نسيت كل اللي حصل وذاكرتها ضايعة".

يغالب الشعور بالبكاء، والرغبة الخارقة للدموع... يعاود الوقوف على باب الغرفة، يسألها: "أمشي خلاص؟!".

لا تجيبه وهي غارقة في الحديث الهامس مع حسين.

غير مصدق: "حسين؟!! سونا؟!! إخص عليكي وعلى ذوقك؟!".

يغادر الغرفة.. والمعمل.. والمبنى... يركض في الشوارع كالمجنون حتى تنفذ طاقته.. ينحني ليلهث.. يرفع عيناه ليراها عبر الشارع.. يندفع مسببًا تعطلًا

للمرور.

يحاول أن يلمسها، لكنه يتردد، فتضحك وتقول: "خايف أكون وهم أنا كمان".

ينظر إلى الضحكة الأبدية المتراقصة على وجه حمدته.. ويجاوبها: "بقيت خايف من كل حاجة".

معاتبةً: "إلا حمدته... عيب".

يسيران حتى شقته، يجلس أمامها ممسكًا قدح القهوة العاشر.

= "ليه كل القهوة دي.. هو البن هيغلى بكرة؟!".

- "خايف أنام.. أصحى مالقكيش... وأنا محتاجك قوي".

= "هتحبني؟".

- "مش عارف".

= "هتحبني.. وهحرق قلبك".

تسدل أجفانه ستائر النوم.. فينتفض دامع العينين لينظر حوله.

أغسطس 2008: أبريل 2010

القتل رحيم

فمها مفتوح، عيناها على أقصى اتساع، إنها لا تصدق..

* * *

تهرول داخل ممرات المستشفي حتى تصل للغرفة التي قالوا أنه يرقد داخلها، وصلت بالفعل وأخذت تنظر لبرهة عبر الزجاج، قبل أن تتقدم داخل الغرفة لتراه محاطًا بغابةٍ من الخراطيم والمحاليل.. ووجهه المحترق يمنعها من رؤية ملامحه التي طالما جعلتها تفكر في أفكار مجنونة... أخرجت الحبوب المهدئة.

* * *

تنظر لشقيقتها الكبري بغلٍ وحقد مستترين، يبدو للناظرين كنظرات معتوه مفتوح العينين والفم، لماذا تحظى دائمًا بكل شيء؛ الجمال والعقل الراجح وشخصيتها الكاسحة وحضورها الديكتاتوري وكل شعاع في دائرة الضوء، لماذا تحولها أضواء الاهتمام إلى مجرد ظل لشقيقتها الكبرى؟! ارتجفت أطرافها.. وامتدت يدها إلى الحبوب المهدئة.

* * *

تنظر إلى وجهه المحترق، وأيضًا أطرافه المحترقة التي جعلته ككائن أسود، ومن حين لآخر تسري رعدة خفيفة في أوصاله.. فينتفض جسدها بالمقابل، يصيبها الذعر من فقدانه في أية لحظة، وفي اللحظات التي يتوقف قلبه عن الصعود والهبوط تفكر في أن تمد يدها لتدفع صدره. أخذت تستعيد ذكرياتها معه، تذكرت الحبوب المهدئة.. فامتدت يدها إلى كوب الماء.

* * *

تضايقت جدًا وهي تسترجع نظراته لها والتي فسرتها في وقتها على أنها اهتمام بها، كانت سعيدة جدًا أنها استطاعت تخطّي أسلاك جمال شقيقتها الشائك والوصول له، استعادت في حينها الكثير من ثقتها المفقودة، وتسللت ابتسامة عبر حدود كآبتها لتصل إلى عينيها، ولكنها كانت مجرد وسيلة للوصول إلى أختها، كانت مثل الكلب الذي يهتم به ليصل إلى صاحبه

"على فكرة لقد سألني عنكِ وهو يحدد الموعد؟"، هكذا قالت شقيقتها الكبرى.

ففكرت، ماذا لو أنه قادم لخطبتها هي؟ ثم نفضت عن ذهنها هذه الوسوسة، فكيف يتجاهل شمس أختها؟! ثم إنها هي الأكبر، كل شيء يقف في صفوف الأعداء يا صغيرتي، نظرت إلى الحبوب المهدئة التي في يدها، فامتدت يدها إلى كوب الماء.

* * *

ابتلعت الحبوب فاستعادت جزءاً من توازنها وهي تنظر إلى جسده المسجى على فراش الموت.. الموت؟! نعم، فهي تعلم حظها العاثر، بالتأكيد سيموت. انتصارها الوحيد في الحياة سيخطفه الموت، أو الأكثر ألمـــاً من هذا أن يعيش في هذا العذاب، والأسوأ من هذا أن يتعذب أمام عينيها.. وهي عاجزة. نعم، عاجزة عن فعل شيء.. لِمَ على العجز أن يستعرض عضلاته أمام ضعفنا؟!

ولكنها لن تستسلم هذه المرة، يجب أن تفعل شيئًا لتنهي هذا العذاب.

* * *

إنها تشعر بالظلم يسري في عروقها كالنار المحرقة، تشعر أن قـــلبها صار مرجلًا تغلي فيه أعصابها، إنها ها هنا في المطبخ تعد المشروبات التي ستقدم للضيف، بينما أختها ما زالت تتزين، لا تعرف لماذا تتزين؟ إنها لا ينقصها شيء، بينما هي ينقصها كل شيء.. لماذا؟ وبأي حق سمحت شقيقتها لنفسها أن تستأثر بكل شيء؟ وتتركها في عراء التجاهل، بل ولماذا كلما حاولت التحليق يعاودون لصقها بجوار شقيقتها، نظرت إلى ما تحضره، وخطر لها خاطر شيطاني، ستضع سم فئران له، وعلى أختها أن تنتحر لتلحق به..

إنها لن تستسلم هذه المرة... يجب أن تفعل شيئًا لتنهي هذا العذاب.

* * *

ستنزع أجهزة الإعاشة عنه ليرتاح من هذا العذاب، الحقيقة لكي ترتاح هي، سيكون القرار هذه المرة في يدها لأول مرة، وقرنت الفعل بالتفكير،

وراقبت هبوط صدره الأخير، لقد أخطأت هذه المرة.. ماذا فعلت؟ شعرت بالندم يحرق ضميرها، وفمها يقضم أظافرها، وأعادت الأجهزة إلى مكانها، ولكن هذه اللعبة دونًا عن باقي الألعاب الأخرى لو نزعت منها البطاريات ثم أعدت وضعها لا تعمل.. فكرت، هل من الصواب إعادة التفكير؟

* * *

العريس يرفع الكوب إلى فمه أمام عينيها المتلصصة عبر ثقب الباب، وأمام نفس الزوج من الأعين.. يقوم فمه بأداء حركات دائرية ومطاطية مكونة حروف اسمها هذه المرة، اسمها هي وليست شقيقتها التي ما إن سمعت هذا حتى قبلتها، قالها ووضع الكوب أمامه مرة أخرى، وفكرت هل من الصواب إعادة التفكير؟

* * *

تذكرت هذا وهي ترى جسده الصامت عن أحاديث الحياة، وتذكرت سعادتها في وقتها بسبب أنها أعادت التفكير وألقت السم بعيدًا، ولكن هذا لم يمنع وبحركة طائشة أخرى ذهبت به بعيدًا.. تأملت جسده وحاولت أن تأخذ قرص مهدئ آخر، ولكن يدها المرتعشة بعثرتها في جميع أنحاء الغرفة، وتحت أقدام الطبيب الذي دخل في هذه اللحظة، وقال: "أنا آسف يا سيدتي، ولكننا أخطأنا في رقم الغرفة.. فزوج حضرتك في غرفة أخرى.. إنه في حالة أفضل من هذا المسكين... إنك تعلمين الزحام في المستشفى بسبب الحادث.. سيدتي لماذا تنظرين لي هكذا؟!"، كان فمها مفتوحًا.. عيناها على أقصى اتساع... إنها لا تصدق..لا تصدق...تصدق

إبريل 2005

بلا سيبو

أنظر إلى الدم المنساب أمامي، متأرجحًا ما بين دهشةٍ وعدم فهم، يرسم الأحمر القاني على عقلي علامة استفهام كبيرة.

* * *

القاهرة في 29 نوفمبر.

..... لكن الزمن وتعامله معي هو الحالة الغريبة التي أحيا فيها، أعيش بها منذ عام 1998، غالبًا يناير أو فبراير من هذا العام.

أذكر قدومي من المحلة خصيصًا وقتها لاستقبال المنتخب الوطني لكرة القدم العائد باللقب من بوركينا فاسو.. وتدافعتُ مع الجماهير المحتشدة حول المطار.

لا أتذكر بالضبط ما حدث، فقط أذكر الوجوه القلقة المحيطة بي، وحمدهم لله على سلامتي،

سلامتي من ماذا؟!

من الزمن الأرنب؟

لم تفهم المصطلح بعد؟

هل تخيلت يومًا أن تشاهد صافرة الحكم.. ثم.. بووم.. فجأة تشاهد هدف في الدقيقة تسعين؟

هل تفهم معنى أن تكبر للصلاة فتجد نفسك تسلم بعدها؟

هل جربت هذا الإحساس السخيف عندما تعود منهكًا ممنيًا نفسك بنومٍ عميق، تضع رأسك على الوسادة.. فتجد نور الصباح يخترق جفنك؟

أنا كذلك أعيش حياة مليئة بـــ(ـــأكمل الفراغات).

* * *

القاهرة في 30 نوفمبر

تساعدني لياقتي في الركض وراءه رغم سرعته الشديدة، تهتز المرئيات قليلًا أمامي، لكن إصراري يمكنني من تقليص الفارق بيننا مع كل انعطاف، يدخل إلى حارة جانبية.

يفاجأ هو بكونها مسدودة... وأفاجأ أنا بالمسدس في يدي... أنحني قليلًا ملتقطًا أنفاسي، أتقدم نحوه بثقةٍ، يلتصق هو بالجدار وبخوف... المشكلة إني لا أتذكر بداية ما آل بنا إلى هذه النتيجة.

* * *

25 سبتمبر

بسبب تعطل سيارتي لجأت إلى انتظار سيارة أجرة، أتململ من طول الانتظار.. فأقترب من الواقف بجواري.

"تراهني إن أول تاكسي هييجي.. هيبقى تاكسي أبيض وأسود.. مش الأبيض الجديد؟"

في البدء ينظر لي بدهشة، ثم تلين ملامحه ممنيًا نفسه بتسلية لحين وصول ما يخرجنا من هذا المكان النائي: "أراهنك... تعلق عشرة جنيه؟".

أبتسم بثقة وأجيبه: "عشرة؟!! لأ... أنا هعلق عشرين من عندي.. ولو كسبت الرهان، أنا اللي هركب التاكسي... وعلى فكرة هيجي تاكسي بيجو سبعة راكب".

يضحك قائلًا: "لالا.. كده وسعت منك.. وصعبتها على نفسك.. و...".

بووم.

تقطع كلماته نظرة الدهشة إلى ما خلفي، أستدير بهدوء لأوقف التاكسي البيجو ذا السبع مقاعد.

بجانب حالتي الغريبة... أنا لا أخسر رهانًا.

* * *

17 أغسطس 2006

بالتأكيد كان هناك شيء مختلف في حينها.

أجلس بجوارها في مقهانا المفضل في وسط البلد، أميل عليها: "تراهنيني إن القهوجي هيجيب البيريل مش مشبرة، ومش هيلاقي حجر التفاح اللي طلبته؟".

بابتسامة صفراء، وبإشعال لسيجارة التوتر، تجاوبني، بقلق: "إنتي مش بتدخني إلا وإنتي متوترة.... خير؟".

– "راهن نفسك على اللي هأقوله لك".

حتى في أحلك المواقف لا أفقد ثقتي: "مش محتاج أراهن نفسي... انتي ببساطة لسه مُصرة تبعدي".

بقلق: "المهم الرهان الأساسي ولا نسيته؟!".

– "ممكن تفكريني..".

تبدأ في الكلام.. ثم... بووم..

تقف في ذهول: "أمشي؟!!".

أنهض بدوري: "أعتقد تعرفي تروحي من هنا...".

تنظر لي بغل، ولا تجيب: "إنت غبي".

تهم بالانصراف، فأمسك مرفقها: "وأراهنك رهان أخير؟ أراهنك إني هعيش سعيد من غيرك".

= "طب وأنا؟!!".

تبتعد.. فأعاود الجلوس، بينما (القهوجي) يضع أمامي زجاجة البيريل وهو يقول معتذرًا: "معلش يا باشا، البيريل مش مشبرة، وبعت الواد قرد يجيب حجارة تفاح ع السخان".

* * *

نوفمبر 2010

ينظرا لي بدهشةٍ بالغة، يتحركا بحذرٍ منتظرين لرد فعلي، بينما أعتصر أنا ذهني محاولًا تذكر اللحظة السابقة لهذا، ينسحب هو من أمامي، بينما تتدارك هي الموقف وتُقبلني على جبهتي: "يلا بقى عشان نلحق نطفي الشمع".

فأجاوبها ضاحكًا: "نلحقه؟!! هو هيتشال من عليه الدعم ولا إيه".

محذرة بسبابتها: "بلاش كلام في السياسة في عيد ميلادي".

نشرع في اللحاق بالضيوف، تستوقفني هامسة في أذني: "شكرًا".

* * *

أكتوبر 2007

أنهي عرضي التسويقي في اجتماع مجلس الإدارة، كم أعشق نجاحي ومهارتي، وهذا ما أيده العضو المنتدب وهو يسير متأبطني: "برافو عليك يا ترمساني... يا ابني إنت ليك مستقبل كبير".

– "شكرًا لحضرتك.. ده بفضل توجيهات سعادتك".

= "لا لا لا بس إنت شاطر".

– "هو أنا بصراحة شاطر بس مرضتش أقول".

يضحك: "عجيب إنت يا أبو العجب.. حتى اسمك".

– "عشان المنظومة تكتمل".

كنا وصلنا لنهاية الرواق، فربت على كتفي: "روّح استريح دلوقتي شوية.. الساعة دلوقت عشرة ونص.. الاجتماع التكميلي الساعة اتنين ونص... أوكي".

– "أوكي يا فندم".

أتركه وأعرج على الكافتريا لأحضر كوبًا كبيرًا من القهوة الساخنة، وأعود إلى مكتبي، أضع الكوب أمامي، أتصل بزوجتي، أنظر إلى الساعة في يدي، إنها العاشرة والنصف وخمس دقائق... تقفز إلى الثانية والنصف إلا خمس دقائق، أرفع عينيّ لأجد فاتن السكرتيرة تقف أمامي وتبدو كمن يكرر

السؤال: "جاهز يا أستاذ أبو العجب؟".
أتحسس كوب القهوة البارد، وهاتفي الذي نفذ شحنه.... لا وقت للدهشة.
أنهض معها، توصلني لحيث الاجتماع، تهم بالعودة إلى مكتبها، فأستوقفها:
"تراهنيني إن كعب جزمتك اليمين هيتكسر قبل ما توصلي لمكتبك".
= "فال الله ولا فالك يا أخي".
تنصرف، بينما أفتح الباب لأدخل، كعب حذائها ينكسر.
* * *

30 نوفمبر
مذكراتي: بالتأكيد ليس داء الزهايمر، فأنا لا أنسى ما يحدث. أنا فقط غير موجود في هذه الفجوات.
بالتأكيد إنه ليس الزهايمر، فأنا لم أنسَ العادات الطبيعية، مازلت أذهب إلى دورة المياه لأقضي حاجتي، ما زلت آكل عندما أجوع، أشرب عندما أعطش.
أراهنكم إنه ليس هذا الداء اللعين... قديمًا كنت أتهكم على من أراهم يحدثون أنفسهم في الشارع، الآن ألتمس لهم العذر.
* * *

29 نوفمبر الساعة 12 ظهرًا
أدلف إلى البنك حاملًا حقيبتي، آخذ رقم الخدمة؛ رقمي هو 27، أجلس بهدوء وبثقتي المعتادة التي تؤنسني أينما ذهبت. تجلس بجواري أم ومعها طفل جميل، ينظر إليّ ويبتسم ببراءة محببة، أنقل بصري بينه وبين رقمي (27) والرقم الحالي على الشاشة (14)، لم نتقرب بعد.
أمط شفتيَّ، وأعاود النظر إلى ابتسامة الطفل، الرقم 14.. رقمي 27.
وأعاود النظر إلى.. بكاء الطفل فزعـــًا، الرقم 42... رقمي 27.
أنظر بدهشة إلى ملابسي الممزقة، إلى حقيبتي المطروحة أرضـــًا بجوار جثة رجل الأمن المضرج في الدماء، الدماء الممتدة حتى جثة هذا المقنع، وما بينهما سلاح. وفي يدي سلاح أيضـــًا، أنظر في دهشة للسلاح في يدي.... أنظر حولي في عدم فهم.

أجده يندفع خارج البنك، فأركض خلفه.

* * *

16 أغسطس 2006

= "لازم نحط النقط ع الحروف".

بسخرية أقول: "إيه الدخلة اللوكل دي؟!!".

تشعل سيجارتها كعادتها في التوتر: "مفيش داعي للاستظراف".

– "أنا أسف.. اتكلمي...".

تبدأ في الكلام، أنظر لها قليلًا، قبل أن أتأمل في نصف كوبي الفارغ..، أرفع عينيّ مرة أخرى.. لأجد دموعًا محتشدة في عينيها: "هاه؟! قلت إيه؟".

أنظر حولي بدهشة، أنظر لها في تعجب: "مش لما تتكلمي إنتي؟!!".

= "أتكلم أنا؟!! ما أنت عمال تسمعني من الصبح... ومخلص كوبايتين عصير.. والنص التالت في إيدك أهو".

أهم بالاعتراض، لكن مثانتي الممتلئة توافقها فيما تقول.

= "مفيش فايدة من الكلام معاك".

تقولها وتنصرف، أتابعها ببصري.. مفكرًا، أراهن نفسي أنني بذلت قصارى جهدي.

* * *

29 نوفمبر 2010

سأكتشف ماذا يحدث في تلك الفجوات الزمنية اللعينة.

أوصل الكاميرا بحاسبي، وأجلس أمامه... سأسجل ما سيحدث، وأشاهده لأفهم سر هذه الفجوات... هل أدخل في غيبوبةٍ ما؟ هل أسير وأنا نائم؟ هل يختفي جسدي؟ هل أتحرك وأتعامل بشكل طبيعي... وبعدها أنسى ما حدث تمامًا.

لم أعلم من قبل، ولم تراودني أية أحلام أو خواطر عما يحدث في هذه الفجوات، ضميري ينام في براءة الأطفال.

تمر ساعات طويلة، وأنا جالس أمام الكاميرا، أنظر للوقت باستمرار، أسلي نفسي باللب والسجائر والمياه الغازية، زجاجة المياه الغازية التي تستعصي عليّ

في البداية، ولكن بمزيد من الجهد... ثم.. بوووووووووم.

أجد نفسي أؤكد للحاسب رغبتي في مسح ملف الميديا الذي يحتوى على تسجيل الساعات الماضية.

اللعنة.... إنها تحافظ على سرها اللعين.

* * *

31 يوليو 2006

تذوب بين ذراعي كشهدٍ دافيء، أتحسس مفاتيحها ببطء لتفكك أعصابها بين أصابعي.. تمر بأناملها على حدود شفتيّ.. أقربها أكثر مني.. نواصل التأرجح سويـــاً.. أسمع تأوهاتها بينما أقترب من الوصول لقمة الــ.. بوووووم.

أشعل سيجارتي بينما هي تلملم نفسها في ثنيات ثيابها.

= "هو خلاص؟!!".

– "آه".

= "طب هو أنا يعني.. أنا كنت.. كنت.. يعني كويس؟.. مبسوط؟.. إيه اللي حصل؟".

بخجل تدراي وجهها ولا تجيبني.

= "إنت عارفة إيه أوحش حاجة في حالتي دي؟ إنك تعـشي حياتك كلها محذوف منها كل حاجة كويسة... أو أي لحظة مهمة".

– "فيه ناس تتمنى إنها ما تعيشي اللحظات الوحشة في حياتها".

= "أنا مستعد أعيش كل لحظة وحشة... مقابل إني أعيش كل لحظة حلوة ضاعت مني".

* * *

5 يونيو 2006

أستجمع شجاعتي لأقول لها ما ترددت في قوله طويلًا، سهرت ليلة أمس في سيناريوهات افتراضية لما سأقول... بوووم

تشعل سيجارتها وتسارع في القول: "المرة دي مش متوترة.. بس كلامك.. إنت عارف بقى".

= "هو أنا قلت لك ع اللي في نفسي؟!".

تومئ برأسها إيجابًا، فأكمل: "طب وإنتي رديتي قلتي إيه؟".
بدهشة: "إنت لحقت تنسى؟".
أصرخ: "معشتهاش أساسًا.. محصلتش.. مكنتش موجود..".
تهدئ من روعي: "اهدى.. اهدى... أنا ممكن أعيد لك الكلام تاني".
أبتسم بمرارة: "أراهنك إنك حتى لو حكيتيلي مش هتعوضيني".

* * *

30 نوفمبر2010

يحاول أن يجد أي مفر، لكن لا مجال للهرب من تلك الحارة المسدودة، أنظر له مستمتعـــــًا بخوفه قليلًا، أطمئنه: "ما تقلقش مش هقتلك... مش إنت اللي تستحق ده.. ع الأقل النهاردة".

يتنهد بارتياح، فأطلق النار على ساقه: "ولكن ده ما يمنعش إنك تدفع تمن غلطك".

أتركه يترف، وأسير مبتعدًا وأنا أخفي سلاحي، يجب أن ألحق بهم هناك، وأضع حدًّا لهذا، أصعد الدرج في قفزات رشيقة، أطرق الباب... ثم بووم..

أنظر إلى الدم المنساب أمامي، متأرجحًا ما بين دهشةٍ وعدم فهم. يرسم الأحمر القاني على عقلي علامة استفهام كبيرة. تتعلق عيني لحظاتٍ بكعكة عيد الميلاد المقلوبة أرضًا خلف الطاولة المحطمة، أنظر ليدي الحاملة للمسدس بدهشة، وينظر لي في رضا، بينما تحاول هي إسعافي فأزيحها بيدي الحرة.

يقولون أن عند الموت تمر حياة الإنسان كشريط سينمائي.... بينما أنا مرت أمامي فجواتي فقط.

أنظر للسلاح في يدي برضا قبل أن أنفجر ضاحكـــًا، بينما ينظر لي هو في دهشةٍ متشبثا بيدها.

أشير لهم بالانصراف.

وأسترخي مغمضًا عينيّ.

تكرارات مملة لما تم حكيه

(تأثير الربع جنيه)

إهداء إلى الصديق العزيز وليد خطاب

* * *

سفر النسف:

يحمل بيديه القويتين ما تبقى من العجل، ويقذف به في اليمّ.

يلتفت إلى (السامري).

بابتسامة صفراء: "المصير المعتاد".

يخاطبه بصرامة أمام عيون القوم المذهولة والرؤوس المنكسة المدانة بالإثم:

"أنت منفي، معزول عن الناس".

يتنفس (السامري) بعمق ولا يتحرك، وعيناه تراقبان غرق رماد العجل.

يشير إلى المدى الواسع: "اذهب يا سامري".

يشرع السامري في السير إلى أفقه الضيق.

***

تكرار ممل أول: عن الفنان الموهوب، خصب الإلهام، الفريد من نوعه، النائي عن التكرار، ولكنه نفس التكرار الممل، حول الفنان المضطهد، صاحب الطرق المسدودة، والإحباطات المتكررة... المضطهد من كل قيم الجهل، والظلام، والتكير، والطبقية، التكرار الممل عن خسف قيم الجمال تحت نعال قيم القبح، انسحاق قيم الخير أسفل سنابك قيم الشر.. ينظر إليه ويقول: "إنت عارف تأثير الفراشة؟ النظرية بتاعة تأثير الفراشة.. إنت أكيد شفت الفيلم بتاع تأثير الفراشة".

يبدو من نظرة الآخر أنه يعرف.

يعلم ولا يظهر... ينطق ولا يتحدث.

فيكمل: "...هي برضه عاملة زي نظرية تأثير الربع جنيه.. تخيل إنك في يوم من الأيام.. أيام ما كنت صايع وعاطل ومازلت... وقررت إنك تروح تشتري جرنان تدور فيه على وظيفة.. غالبًا هتكون في القطاع الخاص.. مستعجل حضرتك على شغل العبودية..".

يتوقف قليلًا عن الحديث، أحيانًا يشعر أنه لا جدوى من الشرح، إنهم أغبى من أن يفهموا، ولكنه يكمل: "المهم.. هتحط إيدك في جيبك... والفرق بين الجرانين اللي ممكن تشتريها ربع جنيه.. هتشتري الجرنان الأول.. وتقلب فيه، ومنه هتشتغل أمين مخازن لشركة تكييفات في وسط البلد.. وهناك هتتعرف على نجوى اللي شغالة جنبك في المحل بتاع الكيماويات.. اللي بيعملو منه الصابون السايل... البنت مش قد كده.. وعينيها ضيقة.. ومناخيرها كبيرة.. وكل ما بتستحمى بتقعد تفرك رجليها بالحجر عشان تشيل (القشف) اللي على كعوبها.. بس للأمانة... بنت حلال.. وهترضى تتجوزها لأنها هتقولك كلمة حلوة.. وتعاملك معاملة لطيفة.. وإنت زي المحروم هتريِّل على أول بت صندل.. هتحسسك إن ليك قيمة... وهتتجوزها..".

يتوقف ليتأمل ملامح الملل على وجهه، قبل أن يستطرد: "كنا بنقول إيه؟!... هتتجوزها.. وهتكتشف -جنب إنها بنت حلال- إنها أرنبة بنت حلال.. وبتسلمك طازة بطازة.. عيل أو توأم كل تسع شهور.. وساعات كل تمانية، العيال كتير والفلوس قليلة... غير سرطان الرئة اللي هيجيلك... فمش هتستغرب نفسك قوي وإنت بتنتحر... ده في حالة إنك جبت الجرنان الأولاني".

* * *

سفر الحساب:

سبق حلمه غضبه وهو يسأله: "لماذا يا سامري؟".
ببصره الشارد في الأفق: "كان حتمًا".
مازال يغالب غضبه: "بل لم يكن محتومًا، ولا مقدرًا".
بهدوئه يجبه: "كان لا بد من صنع إله ليعبدوه".
= "الإله لا يصنع يا سامري... الإله يخلق".
ينهض من مكانه: "أنت خاطبت إلهك... ولكن (يشير إلى القوم).. هل رأيتم إلهكم؟".

يغلي دمه الشريف في عروقه، يندفع نحوه ليحطمه، لكن أخوه الأفصح والأكثر حلمًا يتدخل محدثًا القوم: "لم أرَ الله.. ولكني أدركته بالعقل، ولما رأيت ظلم الناس أدركت عدله، ولما رأيت قسوة الناس عرفت رحمته. لم أرَ الله... ولكن رأيت صنيعته في عباده ودوابّه وشجره، رأيت تصريفه للأمور والأقدار. لم أرَ الله.. ولكنكم رأيتم البحر ينفلق يا قوم، رأيتم جانبيه كالطود العظيم يحرسوننا للخروج إلى أرضٍ لم نكن بالغيها إلا بمشيئته، أدركت الله يا قوم... فلا تظلموا أنفسكم... ارجعوا إلى الله".

يبدأ الندم يسري لوجوه القوم، وبدأت الأنامل في التآكل من الندم.

يقف السامري مخاطبًا الأخوين، مشيرًا للقوم: "إنهم كانو يريدون إلهًا، وأنا صنعته لهم... ألم يطلبوه منك في أول رحلتنا؟! هذه نفوس شوهها الذل؛ الذل الذي أرضعه لهم فرعون وهامان وكهنتهما، هذه النفوس لا تؤمن بالغيبيات، هذه نفوس مذلولة تتعلق بعباءة شخص أو شخصين، ولكن بغيابه ترتد نفوسهم للخنوع، ويسوقهم الذل حيث يشاء، يحدث هذا بغيابه فقط، فما بالك لو توفي.. ماذا سيفعلون؟! إنهم عبيد ذلهم، وهذه.. هذه نفوسنا".

بصبره الذي سيختبره مع (الخضر): "قضي الأمر يا سامري، أما أنت فستعتزل الناس ويعتزلوك، وأما هذا الصنم (يشير للعجل أبيس) فسينسف ويلقى في اليَم".

* * *

تكرار ممل ثاني: عن استكمال شرحه لنظريته المملة (تأثير الربع جنيه): "... غير سرطان الرئة اللي هيجيلك، فمش هتستغرب نفسك قوي وإنت بتنتحر... ده في حالة إنك جبت الجرنان الأولاني. طيب ولو جبت الجرنان التاني، المرة دي هتلاقي فرصة شغل أحسن؛ مراجع حسابات مثلًا في شركة رخام ومقرها في حي راقي، جنب خدمة العملاء بتاعة شركة اتصالات كبيرة، هتتعرف منها على (روفيدة)، وبغض النظر عن الاسم العجيب.. البنت طلقة، من اللي تخرم الدماغ، بس هي مش بنت حلال، وليها في السكة الشمال، وإنت عشان محروم من الحاجات النضيفة دي.. فهتروح معاها في الشمال، ولكونك صاحب ضمير.. فهتضايق من نفسك وتحتقرها -نفسك مش روفيدة- فمش هتستغرب نفسك لما تنتحر بطريقة مفيهاش موت... هتكمل طول حياتك في السكة الشمال دي".

مع اصطدام بصقة بالمرآة... يرتبك قليلًا، لايعرف أي الإنعاكسين بصق.

يواصل عمله على التمثال. يحدث نفسه وصورته في المرآة وتمثاله، قائلًا: "يمكن الناس لما بتسمع الكلام ده بتفتكرني ملحد...".

* * *

سفر الخوار:

يلتف القوم ويدورن في انبهار حول العجل، تنعكس الشمس على جسده الذهبي.. فيلمع كشمس أرضية، ينتظرون تحرك الصورة في خيالهم لتنبت بذرة إيمانهم المشرك، كالأعمى على حافة الهاوية ينتظر الأمر بالقفز، يدور معهم (السامري)، يطوف حول تحفته الجديدة التي راهن بمصيره عليها...

يقف المهذب بعيدًا.. يمنعه ذهوله من التدخل لوقف المهزلة...

تأتي الرياح هذه المرة بما تشتهي السفن؛ سفن (السامري)، تمر في جسد العجل ليصدر خوارًا.. فيخرو له ساجدين..

سجدوا لصنمهم... وسجد (السامري) لنفسه.

***

تكرار ممل ثالث: عن حديث مؤمن، ومن يقال عنه ملحد، يحاول المؤمن بخواطره أن يجد يقينه، ويقول للآخر: "لما بصيت حواليا في وشوش الناس.. أدركت وجوده، تخيل إنت كفنان.. وإديتك ورقة وقلم.. وقلت لك ابتكر من الخيال وشوش وأشكال ناس مختلفة ما يكونش فيها أي شبه من بعض، هتقدر تبتكر وش.. اتنين... تلاتة... خمسين... تقدر حتى توصل لمية، وبعد كده هيبقوا كلهم توائم شبه بعض، ساعتها هتعرف إن اللي أبدع كل صور البشر هو خالق هذا الكون، وده إيه؛ مش بشر بس، لأ وكمان حيوانات وأشكال جمادات".

يقاطعه في ضجر: "يا عم الشفاف.. أنا ما انكرتش... لكن في حاجة أنا مش بقدر أفهمها... هو الإنسان.. مسير ولا مخير؟".

يجاوب في سرعة الرفض: "مخير".

يبتسم في حزن: "وإيه اللي ف إيده يخليه مخير؟!".

يواصل المحاولة: "عقله".

يواصل ابتسامته: "لو إنت اتولدت من السفاح؛ أمك فتاة ليل.. وأبوك حشاش، ورموك في الشارع... وبقيت من أولاد الشوارع.. وضريب (كولة).. وبلطجي.. ومش بعيد حد يغتصبك... وممكن في النهاية تبقى توربيني جديد.. بيغتصب الأطفال ويرميهم من فوق القطر... وتروح النار عشان شمام ومغتصب وقتال قتلة. وإنت برضه.. اتولدت لأم مدرسة.. وأب مهندس وحاجج بيت الله، واتربيت من غير حرمان، وعلى التقوى والصلاح... واتجوزت في سن صغيرة عشان ما تنحرفش، غير إنك دخلت كلية الطب وطلعت جراح قد الدنيا... بعدين تدخل الجنة عشان طيب. طيب لو إنت برضه.. اتولدت لقيت أبوك تاجر فاكهة أو فاتح فرن عيش، وورثت المهنة دي عنه ومكملتش التعليم، أو طلعت لقيت أبوك دكتور في كلية ما.. وهيخليك معيد برضه في نفس الكلية. قولي بقى... في كل الحاجات دي اخترت إيه؟... الحياة والظروف والبيئة المحيطة بيك هي اللي بتشكلك

وتختارلك تعليمك ومراتك... وتحدد كل تصرفاتك... يبقى إنت اخترت إيه؟... إنت من ساعة ما تتولد بتتحط على قضبان وتتزق".

وزي ما كانت بتقول الجدة في التمثيلية الصعيدية: "مجدر ومكتوب يا وليدي، كلنا متغمين ومرميين في ضباب الغيب... ما حد عارف جاي من وين.. ولا رايح وين.. يا عم المخير".

يجاوبه: "﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾".

* * *

سفر الذل:

يمرون على قوم لهم أصنام هم لها عاكفون، ساجدون، حامدون للا ضرهم وللا نفعهم، بنفوسهم التي شوهها الذل المتجرع عبر السنين الممتدة، يلحقون به.. يتعلقون بعباءته، يطلبون ما يظنون أنه مطلب عادل.

"إجعل لنا أصنامًا مثلهم".

ينظر لهم غير مصدق، ندرة من القوم يرون انشقاق البحر، ندرة من يمشون على يابس لم يطأه أحد غيرهم، وندرة أيضًا مَنْ اغترفو شربة قليلة في جيش طالوت.

يخاطبهم أخاه: "أبعد أن أنجاكم الله من فرعون وهامان وجنودهما؟ ورفع أعناقكم من أسفل نعال الذل تريدون أن تنكصوا على أعقابكم كفارًا؟! أبعد أن أنجاكم الله من فرعون؛ الصنم الحي، الذي علا عليكم واستكبر، تريدون صنمًا من جماد، لا ينفع.. إنما يضر بأخذه لكم إلى أسفل سافلين!".

"ماذا نعبد إذن؟".

محاولًا التماسك: "اعبدو الله".

يعودون لصوابهم، ويسيرون خلف الأخوين، واحد فقط يتخلف.. واحد فقط يتأمل الموقف.. واحد فقط يلملم أذيال التردد، يقبض عليها بيدٍ من حديد ويجذبها إليه.. ويجذب معها عزائم القوم الخائرة...

نعم، لقد شاهدو انفلاق البحر، لكنه يعلم أن النفوس المذلولة ذاكرتها في

أعينها.

"لقد ضايقتم موسى وهارون... بسؤالكم هذا" يجذب أول خيط.

- "ونحن على ما فعلنا نادمين".

"نادمين؟! بالتأكيد، ولكن هل يكفي الندم"، ببراعة الفنان داخله تتساوى براعة الخناس.

- "ماذا نفعل إذن؟".

"هذا الذهب الذي هربتم به من مصر، ليس من حقكم" يجذب الخيط الثاني.

- "يا ويلنا".

"نجمعه"، في اليوم الأول يقول هذا..

"ندفنه في التراب"، في اليوم الثاني يقول.

"آتوني به"، في اليوم الثالث يقول.

"سأصنع به تمثال"، في اليوم الرابع يقول.

"سأصنع لكم إلهًا.."، في اليوم الخامس يقول.

"هذا إلهكم فاعبدوه"، في كل يوم يقول.

وعبدوا العجل.

* * *

تكرار رابع ممل: عن الفنان المضطهد، الذي يظنونه ملحدًا. إلى الفنان الذي دق كل الأبواب المصمتة، فلم يجاوبه غير ألم كفه..

هو يضع آخر لمساته: "أنا المجتمع اضطهدني، وجه الوقت عشان أضطهده".

غير مصدق: "هتضطهد المجتمع؟!!؟".

يشير إلى تمثاله: "شايف التمثال ده".

يهز كتفيه: "مش حلو".

بابتسامته الحزينة يكمل: "أنا عارف، هو تمثال لإنسان مشوه غير كامل الأطراف والأعضاء، بس إنت شايف العمود الفقري... قرب شوية.. ممكن

تشوفه من تكوين التمثال الشفاف، ده عمود فقري لبني آدم، ما تندهش كده، والعين الشمال.. والكوع اليمين المبتور. الناس في الأول مش هتحبه.. وبعدين هتكرهه... لكن لما تبدأ الشائعات عن الجن اللي ساكن التمثال... الجني الطيب اللي بيعالج الناس.. الناس هتبدأ تحب التمثال وييجوله من كل حتة، وممكن الناس تقول إنه مش تمثال، ممكن جزء من موميا.. طبيب فرعون اللي آمن بربنا.. لا لا لا لا... أو ساحر من سحرة الفرعون اللي آمنوا برب موسى وهارون، ففرعون أمر إن تتقطع أيديهم وأرجلهم... ويصلبوا، ده بقى.. بني اسرائيل هربوه معاهم لسينا، ومكافأة لإيمانه ربنا خلى الموميا بتاعته ليها قدرة على علاج الناس ليوم الدين. هي اللعبة تتلعب كده، وفي يوم ما الناس تعبد الخرافة دي -زي كل الخرافات والشعوذة المتحكمة في حياتهم- عارف هعمل إيه...؟".

- "إيه؟".

بعين باكية "هضحك".

- "هتضحك؟!".

= "آه.. هضحك.. لحد ما أطق من الغيظ، بس هبقى مبسوط لما يعبدوا فني".

- "إنت شيطان".

= "لا لا لا.. هي حاجة على نفس الوزن.... فنان".

* * *

سفر التكرار:

يقول (هامان) وهو ينظر لعمل (السامري): "عمل رائع".

بفرحته البكر يطير، متسائلًا: "هل يعني هذا أن...".

مقاطعًا في تكبر: "لا تفكر، لا يمكنك أن تتجاوز هذا الحد، إنك من الشيع".

- "لكنني فنان".

= "هناك كثيرون".

– "قارني بكل هؤلاء، أنا مبدع، يداي هاتان بهما أصابع إلهية".

= "لا تكفر بفرعون".

– "فرعون؟!".

= "حتى الأكاذيب يجب أن تُردَّد حتى وإن أصبحت حقيقة".

بسخط مغرور: "هناك سامري واحد".

يبتسم (هامان) ويربت عليه بحنان أبوي: "اسمعني يا بني، في مصر سيكون هناك الكثير منك".

* * *

سفر الأنا:

أنا.

14أكتوبر 2009

الوليمة

(سميييييير) في ساعاتٍ مختلفة من اليوم.
(سميييير) يسمعها من كل الأرجاء، يتلفت حوله فلا يجد أحدًا.
يسمع النداء فيجيب وهو ينتفض من مكانه ويدور حول نفسه، ولكن ككل مرة لا يحيط به سوى الفراغ.
يغلق باب غرفته المتواجد على سطح أحد المنازل، وينتزع ملابسه انتزاعًا طلبًا للهواء في هذا اليوم شديد الحر، يدير (مروحة السقف)، يجلس على مقعد وينظر للأرض ليراقب ظلال أجنحتها على الأرض، يزفر في ضيق وهو يتأمل غرفته الفقيرة، قبل أن يقطع حبل أفكاره النداء المتكرر (سميييير).. ينتفض وينحني لينظر تحت السرير فلا يجد أحدًا.
ويتكرر النداء.. يظنه قادمًا من دورة المياه فيتجه لها في حذر، يضع يده على مقبض بابها ويضع في رأسه ألف احتمال، يفتح الباب بهدوء، يفحص المكان، تسيطر عليه الهواجس فينحني لينظر في قاع حمامه، ولكنه يسمع النداء من خلف ظهره فيغادر دورة المياه. يتجه إلى (الدولاب) وهو يتعثر في أثاث غرفته القليل، يفتحه ببطء متوقعًا أي شيء، ولكنه لا يجد شيئًا. يضع يده على جبهته المشتعلة، يبدو أن الحمى عاودته، صار ابتلاع ريقه مغامرة غير مأمونة العواقب، يلقي بنفسه على سريره، ومن بين ظلال أجنحة المروحة التي تدور على جسده ينظر إلى السقف. يسمع النداء. ويرى السقف يتموج ويتخذ شكل قدم تضغط عليه، بينما النداء يتكرر بصوت هو للفحيح أقرب.
يهب جالسًا مذعورًا، ولكن على الحائط المحيط بالنافذة كانت هذه اليد المطبوعة على الحائط تريد اختراقه، شعر أنه يغرق في سريره، وبدأت الذكرى تتسرب إلى عقله.

* * *

"سمير، يلا بينا بسرعة".
ينهض متكاسلًا ويقول لزميله: "في إيه؟ مستعجل على إيه؟ وهما مش طلعوا

للحادثة بتاعة شارع العشرين".

– "في حادثة تانية في شارع الأمين، ومفيش غير إنت مسعف، ومفيش غير أنا سواق، يلا بسرعة".

ينطلقان حتى يصلا لمكان الحادث، فيشاهدا سيارة فارهة تحتضن عمود إنارة.

يزيحا جمهور الناس ويصلا إلى السيارة، فيقول سمير للسائق: "حتة عربية، وتلاقي ابن الكلب ده لا تعبان في فلوسها ولا حاجة".

ينظر له السائق في دهشة ويقول: "وده وقته؟! ده بين الحياة والموت، شيل معايا".

يحمله (سمير) مع السائق حتى سيارة الإسعاف، وهو يقول: "يا عم أكيد كان طاير بيها، ولو مكنش خبش بيها في العمود كان كَلْ بيها اتنين تلاتة غلابة مالهمش ذنب، إنت نسيت حادثة المطار؟".

لا يجيبه السائق وهو يغلق الباب الخلفي، ثم يدور لينطلق بالسيارة، تاركًا سمير مع المصاب في الخلف.

يتأمل (سمير) الهاتف النقال غالي الثمن الذي سقط من جيب المصاب، فيقول بحسرة: "أهو تمن الموبايل ده كان فرق معايا، وكنت بقيت دكتور يستناك في المستشفى، موش حتة مُسعف".

يسقط نظره على الساعة الذهبية في يد المصاب: "ودي كانت سدت جوع عشرة عشرين جعان ما استطعموش كلمة الشبع في بقهم طول عمرهم".

يطيل النظر للمصاب بغل، يضع الهاتف والساعة في جيوبه، تمتد يده لتنفذ قراره، يصلوا للمستشفى، يفتح السائق الباب، يقول له سمير بهدوء: "خسارة.. مات قبل ما نوصل".

* * *

يضع المسروقات أمامه، يدق جرس الهاتف، يلتقطه بهدوء ويرد: "آلو".

صوت أنثوي: "آلو، أيوه يا هاني، اتأخرت كده ليه يا ابني؟ إحنا هنموت من القلق".

– "أنا موش هاني".

= "آمال إنت مين؟".

– "هتفرق معاكم أنا مين؟".

= "إنت؟.. إنت سرقت الموبايل من هاني؟".

– "إيه ده؟ إنتوا يا أغنيا تعرفوا يعني إيه سرقة؟ طب واللي بتعملوه في الغلابة ده اسمه إيه؟".

= "يا ابني هو كل الأغنيا حرامية؟ على العموم مش مهم... خد الموبايل، بس قولي ابني هاني فين؟".

– "موش هأقولك، انتم تعابين غارسة نيابها في لحمنا، سمكم بقى دم بيجري في عروقنا، إنتم تعابين.. تعابين لازم تموت".

يغلق الهاتف، ويفتحه لينتزع الشريحة ويسحقها بقدمه.

* * *

(سميـــير) كان النداء هذه المرة قويًا وواضحًا من خلف باب غرفته، تصحبه دقاتٍ منتظمة وثابتة.

يمشي مترنحًا بفعل الحمى، وتمتد يده المرتعشة تفتح الباب.

* * *

قال له ([illegible]) وهما صغار يجلسان على الساقية في بلدهم الريفية: "بيقولك أل إيه... لو قتلت حنش أو آف.. وليفته تفضل تدور عليك لحد ما تلاقيك وتقتلك.. وبعديها مش مهم هي تموت ولا لأ".

2006/4/20

المنتصرون.. غدًا

في أيام الشدة...

والجوع ثالثهما... يقتربان كالضباع بحذر من الجسد الأسمر المعلق، يغالبهم بعض من التردد.. لكن الجوع القارص يلسعهم بسياطه، فيقتربون أكثر متأملين الجسد الأسمر الضخم، محاولين التأكد من خلوه من الروح، فهم كالضباع لا يأكلون سوى الموتى. يضع أحدهم يده على الجسد الأسمر، لكن وقع الأقدام يجعله يتراجع ورفيقه إلى مكمن خفي؛ ليراقبوا حشدًا مما تبقى من أهل القرية، يتقدمهم (ذو العمامة)، ليترلوا الجسد الأسمر ويهزونه محاولين إنعاشه.

وعندما ينـــتفض ويفتح عينيه، يقول له (ذو العمامة): "هـ! لتموت هناك".

* * *

في عشية اقتحام المنتصرين لآخر معاقل أعدائهم...

وفي المستقبل، حيث أنجبت الفوضى حربًا أهلية شعواء، أكلت اليابس وما تبقى من الشريط الأخضر الضيق، الذي أخذ في التلوي حتى انزوى في بطون الجوعى.

ربما كان طرفي الحرب الأهلية أصحاب الدين المختلف؛ ربما كانوا أبناء الطبقتين الفاحشة الثراء والمسحوقين من الفقر، وربما.. وربما، لا نملك حق التحديد، فقط المنتصرون غدًا هم من سيكتبون التاريخ.

المؤكد فقط أهم كانوا شماليين وجنوبيين، ولكلٍ منهم طرقه وأسبابه وأسلحته.

فالجنوبين قد ردموا نهر النيل حتى يمنعوا الماء عن أهل الشمال.

بينما سلط الشماليون الجان لخطف أبناء الجنوبيين.

كل طرفٍ جفف منابع الآخر.

* * *

في أيام الشدة.

يجرون الفتى الأسمر الضخم لخارج حدود القرية، يعبرون به فوق بقايا جثث الكلاب والقطط، وبعض أهل القرية الذين ماتوا خلال بحثهم عن الأمل.

كانت مسيرتهم تعدت نهارًا كاملًا، لكن بسبب جوعهم وعطشهم ظنوا أنهم ساروا أسبوعًا كاملًا.. لدرجة أن البعض منهم صلّى الجمعة في الطريق.

تلاعب الجوع والعطش بعقولهم كما تلاعب ببطونهم من قبل، توقفت المسيرة أمام البئرين.

فصاح فيهم (ذو العمامة): "أحضروا لي (توبي)".

يدفعون الفتى الأسمر تجاهه، فيضع يده على رأسه: "لقد أخطأت يا توبي ويجب أن تموت... ولكنك يمكنك أن تنقذ أهل القرية".

ينظر له (الفتى الأسمر) ويمنعه لسانه المقطوع من التساؤل، فيكمل (ذو العمامة): "أحد هذين البئرين مسموم، ستختار أحدهما وتشرب منه، وسنعرف بعدها أيهما مسموم، فنشرب نحن من الآخر. لن نجبرك على بئرٍ بعينها، سندعك أنت تختار".

يتقدم (توبي) ليشرب من أحد البئرين.. ويسقط ميتًا.

* * *

في عشية اقتحام المنتصرين لآخر معاقل أعدائهم..

الجنوبيون يحذرون أطفالهم من الجن المسخر بواسطة الشماليين ليخطف أطفالهم.

كان أحد أطفال الجنوبيين يلهو بجوار أطلال إحدى دور العبادة الخاصة بالشماليين، غير عابئ بالتحذيرات التي فطم عليها منذ بداية الحرب، كان يفتقد أصدقائه الذين أصبحوا رموزًا لتلك التحذيرات والتنبيهات.

يتخيل وجودهم معه فيقسمهم في خياله لفرقتين، إحداهما ستكون شمالية

والأخرى جنوبية، ويوزع عليهم الأدوار والشعارات الدينية المحفزة لقتل الآخر؛ سواء كانوا ضيوفًا أو أصحاب البلد، ومع بداية حربه الوهمية شعر به يتحرك من حوله، جفل لسماع خطواته السريعة التي تركض حول الأطلال، لا يستطيع رؤيته لكنه يشم أنفاسه؛ رائحته كالكبريت، بالضبط كما وصفوها له، بالضبط كما حذروه، يخشى أن يبصره في وقفته الشامخة فوق الأطلال بقدمين كالماعز وبقرونٍ صغيرة وبذيلٍ يزحف نحوه كالأفعى. يغمض عينيه حتى لا يراه.. إذا ظهر.

* * *

أيام الشدة

تسير في طرقات القرية ممنيةً نفسها بقطة أو كلب تذبحه لتأكل وتطعم أولادها، كانت تتمنى أن تجد قطة وليس كلب؛ فأطفالها استساغوا طعمها أكثر. لم يعد اختفاء الناس المتتالي يخيفها. ترى ذيل قطة بجوار ذلك البيت في آخر الحارة، فتركض نحوه بلهفة، تنحني لتلتقطه فتكتشف أنه مجرد ذيل، كان ذلك في اللحظة السابقة لانغراس الكلابة في ثديها، ألجم لسانها شعورها بالطيران مع جذبة الكلابة لتسقط بين ذراعيه السمراوتيين اللتين حملتاها حتى قبو الدار... ليلقيها فاقدة الوعي.

تستيقظ بعد قليل على ألم حاد في فخذها، لتجد نفسها مقيدة في ركن القبو، بينما يقتطع (الفتى الأسمر) أجزاء من لحم فخذها، ويشويه على تلك النار التي أوقدها، احتارت بين أمرين؛ هل تصرخ طلبًا للنجدة؟ أم تطلب منه قطعة تقتل جوعها؟

لكن اقتحام أهل القرية للدار أراحها من ذلك الاختيار، يحلون قيودها، ويحملون الفتى الأسمر الذي يصرخ في صمته الأبكم. خرج الجميع من الدار، ولم ينظر أحد إلى ما خلف ذلك الباب الصغير في القبو.

* * *

في عشية اقتحام المنتصرين لآخر معاقل أعدائهم..

وفي تلك الخيمة النائية من طرف المعسكر، المعسكر الذي يحيط بآخر معاقل

المنهزمين غدًا، تقلب في القدر الموضوع على النار محاولةً شراء بعض الوقت حتى يناموا، يقترب منها طفلها.

فتبادره بالقول: "جائع يا بني؟".

يلتصق بها في خوف: "خائف يا أماه".

- "اطمئن يا بني... اقتربت النهاية".

بخوفٍ: "النهاية؟!! هل سنموت؟".

تبتسم محاولةً تهدئته: "الموت قادم لا محالة، لكن ليس هذا المساء، عندما يشق سيف النور ظلمات الليل... ستكون نهاية أعدائنا".

= "وماذا بعد نهايتهم؟!".

- "ستكون بدايتنا".

تقول جملتها الأخيرة بأقل قدر من الاقتناع، فتواصل التقليب في القدر الخالي في صمت.

= "أماه! هل ستزول الشدة؟".

- "بالتأكيد يا بني... مر بنا ما هو قاسٍ من قبل".

بتعجب: "هل كانت هناك شدة مثل هذه؟!!".

= "الشدة المستنصرية...".

ينظر لها في تساؤل، فتكمل: "في الشدة المستنصرية مرت سنون عجاف على البلاد، جف فيها ضرع النيل، وأكل الناس القطط والكلاب، بل والبشر أيضًا، وتحكي كتب التاريخ عن تلك المرأة الثرية التي خرجت بأموالها لتشتري جوالًا من الدقيق، فتكالب عليها الناس فلم تعد سوى بحفنة من الدقيق.. أو ربما بحفنة من التراب ظنته من جوعها دقيقًا".

يتراجع الطفل في فزعٍ: "هل أكل الناس بعضهم البعض؟!!".

تنظر لخارج الخيمة حيث يستعد المنتصرون غدًا، فتؤمي برأسها إيجابًا: "أكل الناس بعضهم البعض".

* * *

أيام الشدة

يتدافع أهل القرية كالجراد على البئر الذي لم يشرب منه (توبي) الفتى الأسمر، وانهالوا على البئر كالهيم.. أُصيب البعض من التدافع، ولكن هذا لم يعطل عجلة الارتواء.

ارتوى القوم، فاستلقوا على ظهورهم باسترخاء، وبعد قليل استلقوا موتى، بينما ينهض (توبي) للمرة الثانية من الموت.

ينظر لهم باحتقار، فقد انطلت عليهم خدعته، حمل اثنين منهم على ظهره وعاد أدراجه للقرية. طوال الليل لم يتوقف ولو لبرهة واحدة للراحة، ومع دفقات الفجر الوليدة دخل (توبي) بغنيمته إلى القرية الخاوية من أهلها، سار حتى داره... حتى قبوه... حتى الباب الصغير في القبو.. يلقي بغنيمته أرضًا، يحضر سكينه الضخم، يشرع في تقطيعهم، ثم أشعل النار لينضجهم.

* * *

في فجر اقتحام المنتصرين لآخر معاقل أعدائهم...

يتملل الجند من طول الجوع والانتظار، يمنون أنفسهم بأن خلف هذه الأسوار القديمة الكثير من المؤن، والكثير من دماء أعدائهم يرتون منها، والكثير من التاريخ ليكتبوه.

ومع زخات الفجر البكر، تُعطى إشارة الاقتحام فيتلقوها بصدر رحب وحقدٍ دفين، وبغل السنين المحفور في أخاديد قلوبهم يحطمون الأبواب والأسوار.. دون أن يقابلوا أي مقاومة تذكر..

وعندما سبحت الشمس البيضاء في كبد السماء كان المنتصرون في الداخل، تتلألأ أشعة الشمس منعكسة على المعادن والجدران الآيلة للسقوط، بينما يتلفت المنتصرون حولهم في خوف وفي دهشة من كل تلك الأجساد المعلقة والملقاة أرضًا، وأنهار الدم التي بلغت الأفخاذ خائرة القوى...

ربما يكتب المنتصرون أن أعدائهم فضّلوا الانتحار...

ربما يكتب المنتصرون أنهم هم من أبادوهم عن بكرة أبيهم...

ربما يكتب المنتصرون أنه لم تكن هناك حرب من الأصل...

ربما يكتب المنتصرون سريعًا... فالجدران كانت تنهار عليهم.

* * *

في أيام الشدة.... وخلف الباب الصغير في قبو دار (توبي)..

لم تكن (ليليان) تعلم أنها عندما أتت مع زوجها المسيحي الأرميني مع جيش (بدر الدين الجمالي) أن ذلك العبد الأسمر سيتولاها برعايته بعد وفاة زوجها، ولم تكن تعلم أنه سيفعل كل هذا من أجلها، وأنه سيتحول لجزار بشري بينما هي مختبئة في ذلك القبو.

ينظر (توبي) في أسف لآخر قطعة لحم استخرجها من آخر ضحاياه، يرفع رأسه إلى (ليليان) معتذرًا في صمته الأبكم.

يشرع في قطع لحم فخذه... وينضجه على النار.

ويتمنى أن يستطيع أن يتكلم ولو لمرة واحدة.. ليطمئنها.

21ديسمبر2010

مالوش

أفسد عليه الانتظار متعته الليلية، كان يجلس على (المصطبة) أمام الباب يترع من (جوزته) البدائية شهيقًا متقطعًا، بينما تغازل أنفه رائحة الشاي المغلي. كان يعبر ببصره الترعة الضيقة الملاصقة لمترله إلى حيث الحقول الواسعة الجافة، التي كانت يومًا من الأيام عباءة خضراء تحيط أفقه. كانت تلك الأصوات المعلوم منها والغامض يقرقر في الحقول البالية البعيدة.

يزفر في ضيق وينظر إلى أعلى، حيث لم تنطفئ مصابيح السماء مثلما خبت مصابيح الأمل في روحه.

أفسد الانتظار مساءه، لكن الأمل في ولادة الخبر السعيد يكافح.

"مبروك يا فايز"، تنفضه الجملة من مكانه، لتكمل هي جملتها: "مبروك.. ربنا رزقك بتوأم".

ينقبض قلبه من الخوف، هذا ما كان يخشى.

(2)

"يعني إزاي حضرتك كده؟!".

يطوي الموظف دفتره المتهالك: "هو إكده..".

يحاول فايز التماسك: "وحياة النبي ما ينفع".

ينهض الموظف ليدير مروحة السقف: "هو ده سعر الكيماوي، مش لادد عليك الكلام ده روح اشتكي للحكومة".

= "أشتكي للحكومة؟ ولا أشتكيها؟".

– "اللي يـــــلد عليك".

يخرج (فايز) يقلب كفيه وبصره بين الوجوه المجعدة من الفقر، حتى تصطدم عيناه بابتسامة (حامد) التي لا تذبل: "إيه يا أبو عمو؟ خبر إيه؟".

ينظر له (فايز) دون أن يجيب، فيكمل حامد: "الكيماوي؟! ماتشيلش هم يا أبو عمو".

يقولها ويربت على (شيكارة الكيماوي) التي يحملها حماره، ينظر لها (فايز) بأمل.

(3)

ينظر (فايز) بقلق إلى طفليه وهما في حجر أمهما: "ربُنا يستر".

= "خايف ليه إكده؟".

يقترب منها ويقول هامسًا: "نسيتي إياك؟!! نسيتي إن التوأم بالليل روحهم بتخرج وتلبس كل واحد فيهم (بسة)؟".

تضم رضيعيها إليها أكثر: "مانسيتش.. وما نسيتش كمان لو حد صحى حد فيهم بالليل بيموت".

– "خبرتي ليه بجى أنا خايف يا سمية؟".

= "ما تخافش، دول في ضُلعتي.. ومنبهة على الكل محدش يصحي حد فيهم لو كان نايم".

يهز رأسه في موافقةٍ متخاذلة وهو يزفر: "ربُنا يستر".

(4)

"أمسك الموبايل ده يا بلدينا وصورني" يعطيه الشاب (الموبايل).

يقلب (فايز الموبايل): "ماخبرش أنا كيف يا ود عمي".

يشرح له الشاب قبل أن يقف أمامه قائلًا بمزاح: "ومعاكم دلوقتي الشهيد الحي منتصر حسين من فوق العبارة السلام.. ومستنين نغرق بقى يا عم الحاج".

يلقى (فايز) الموبايل: "رايح إنت؟!! بتهرج وإحنا هنغرج؟".

بابتسامة يجيبه: "يا بلدينا.. العمر واحد والرب واحد... وبعدين أخوك اسكندراني".

ينظر له (فايز) متسائلًا، فيكمل منتصر: "يعني سمكة.. إرميني بس في المية".

ينظر له (فايز) باستنكار، ثم يشير إلى خصر منتصر: "إيه الحزام ده؟!! كنت بتحج؟".

يميل عليه منتصر: "هقولك سر؟ بس إوعى تقول لحد، ولا أقولك قول... ما كده كده كلنا غارقانين".

يهتف (فايز): "فال الله ولا فالك".

= "اهدى بس، الحزام ده فيه شقا عمري، وتمن الغربة زي مايقولوا، أنا تعلمت الدرس من شقا عمري اللي ضاع كذا مرة... وخليت حد حبيبي، حبيبي حبيبي، إنت فاهم؟!! خليته يحولهولي سبايك دهب، وحطيتها في الحزام الناسف ده".

– "حزام ناسف؟!!".

= "آه... اللي هينسف الفقر للأبد، بس إحنا بس نفوت من المطب ده".

ينظر (فايز) بقلق للأفق المظلم: "ربُنا يستر".

(5)

يتبادل (فايز) أحجار (الجوزة) والحديث ذا الشجون مع أخيه (ماهر)، وهما يجلسان على (المصطبة) يتأملان تقافز الضفادع عبر الشقوق الجافة للترعة.

= "فاكر جنينة الموالح بتاعة سيدك (عبد الرحيم)؟".

– "فاكر".

= "فاكر لما كنا بنجيب المانجة خضرة.. ونرميها في الردة لا نديها لستك (بهية) كي تخبزلنا مطبجة ومصبوبة؟".

– "فاكر".

= "طب فاكر لما كنا نهرب من الحرات مع أبوك ونروح نصطاد السمك المشط من الترعة ونشويهـــــ....".

يصرخ (فايز): "ما بناجص حديتك الماسخ ده، جاي تجلب علينا المواجع على المسا".

= "أوباي!! خير إيه يا فايز؟!".

– "أوباي في عينك، جاي تفكرلي في موالح ومانجة ومصبوبة وسمك.. وعز راح وإنجطع دبره...!".

= "وماله أمال الكلام ده، مش أحسن ما الفجر يجرد فينا ليل نهار".

- "أنا بجى ما فاكرش إلا الجري ورا لجمة العيش في الغربة، ما فاكرش إلا الأرض اللي عجمت، ما فاكرش إلا الولد اللي شاب أبوه، ما فكرش..." (يكشف عن أثر عضة القرش في فخذه) ويكمل والدمع في عينيه: "..ما فاكرش إلا عضة الأيام والفجر اللي كلبش في رجابينا".

تندفع (سمية) زوجة (فايز) إلى الخارج: "واه!! كنكم بتتعاركوا؟!".

ينقل (ماهر) بصره بينها وبين (فايز): "لا بنتعارك ولا حاجة، ده خوي، هي فين خيرية؟!!".

(سمية): "هي بتطل على العيال فوج وبعديـــ.....".

تقاطعها ولولة "يا نضري" الصارخة.

يندفع الجميع إلى الأعلى حيث غرفة النوم، ليجدوا (خيرية) منهارة وتشير إلى أحد الطفلين: "جيت أصحيه لجيته.. لجيته...".

فهم الجميع ما حدث، واندفعت (سمية) تحتضن طفلها على أمل أن تبعث فيه الحياة من جديد.

بينما يراقب (فايز) الموقف بذهول، أسود كوابيسه تحقق... مجددًا.

(6)

يسير(فايز) بجوار الشيخ (علي) في طرقات القرية الضيقة، حيث البيوت الطينية المتداعية، تطل عليهم وجوه العجائز الموشوم ذقنها بالأخضر والأزرق وقد جعد الفقر ملامحهم. ينظر إلى ذلك الطفل الذي يركض نصف عارٍ ليجلس بجوار أحد البيوت ليتبرز. يمر بجوارهم شاب بحمار يحمل دقيقًا، يحييهم. يتابعه (فايز) ببصره. الكيس الذي يحمل الدقيق مثقوب ويرسم خلف الشاب خطًا أبيض. لا يقوى (فايز) على تنبيهه، بينما ذلك الكلب النحيل (مشمشي) اللون يحاول اللحاق بالحمار. يعبر (فايز) و(الشيخ علي) الترعة الجافة، ثم يمران على جسر (القسيس) بينما يغفو قرص الشمس الأحمر خلف حقول الذرة.

يتوقف (الشيخ علي) أمام لافتة كُتب عليها (حفني وولده للمسنوجات -

أخميم- سوهاج): "كانت أحسن منسوجات بتاعة أخميم، كانت أفضل منسوجات في بر مصر كله أيام عبد الناصر". (ينتهد بحرارة) "واليافطة دي بس اللي أتبجيت من بعد بويا".

يضحك (الشيخ علي): "اليافطة دي اللي طلعنا بيها من الدنيا".

بمرارة يقول له (فايز): "اليافطة أحسن من الفجر.. وأحسن من الخوف اللي طلعت بيه من الدنيا... يا شيخ علي... أنا عايزك تيجي تجرى على ولدي التاني.. وتجرالنا في البيت كولاته..".

= "على عيني يا أبو عمو..".

- "أنا خايف جوي من روح اللي مات".

(7)

يتذكر كلمات جدته في ليلتها الأخيرة: "الروح اللي ما تعاودشي.. تفضل ساكنة البّسْة.. وتدور معاها، وتلف معاها، وتيجي البيت اللي خرجت منه، تدج على الباب وتنادي داووود... داووود... بيجولوا إنها بتاجي بالعوض".

يسألها (فايز) الطفل بفرح: "بالعوض؟!! يعني أجولها ع اللي نفسي فيه؟!!".

تنظر له (الجدة) بمحجري عينيها العمياء: "ماستجراش حد يحدهًا... اللي استجرى وفتحلها الباب....".

يناديه والده، فيهز (فايز) جدته: "حصله إيه؟!!".

تتلمس (الجدة) وجهه: "اللي استجرى وفتحلها...".

يأتي والده ويسحبه ويزجره على عدم استجابته للنداء، وبينما يُسحب (فايز) بعيدًا يرى (الجدة) تهمس بالسر وهي تتحسس عينيها المنطفئة.

(8)

"داووووود... داوووووود".

تشق ولولة القطة سكون الليل، يغالب (فايز) تردده، وينهض ويلتقط (اللمبة الجاز).

"داووود... داووووووود".

ينزل ببطء على السلم الطيني، يرسم ضوء (اللمبة الجاز) ظلًا له على الجدار من خلفه... وخلف ظله ظل للقطة تحاول التشبث به.

"داووووود... داووووووود".

لم يفهم نداءها على (داوود) هذا أبدًا، فسروه قديمًا بأنها تدعي النبي (داوود) ليساعدها في الولادة.

"داووووود... داووووووود".

قرر (فايز) هذه الليلة أن يفتح الباب ويرضى بالعوض، يمر بساحة منزله، وصوت الخمش على الباب يتصاعد.

"داووووود... داوووووووود".

يتذكر وقفته هو و(حامد) أمام الحقل الذي أحرقه (الكيماوي) الفاسد، فيقرر أنه سيطلب أرضـــًا.

"داووووود... داوووووووود".

يتذكر غرق العبارة.. وعضة القرش لفخذه... ومحاولة (منتصر) المستميتة في السباحة.. ولكن (حزام الذهب) الذي كان يرتديه يجذبه إلى الأعماق.

يتذكر (منتصر) وعضة القرش، فيقرر أنه سيطلب.. يحتار فيما يطلب، أيطلب عودة منتصر؟! أم يطلب التئام جرحه؟!!

"داووووود... داووووووود".

يعلو الصوت أكثر فأكثر، كما لو أنه شعر باقتراب (فايز) من الباب. يتداخل معه صوت الراديو الذي يقول فيه المذيع: "هذا وقد تقرر تجميد أرصدته التي تبلغ 41 مليار..."، يغلق (فايز) ويفكر أنه سيطلب معرفة ما هو المليار؟!.

"داووووود... داوووووووود".

يتذكر دموعه في العبارة، ودموعه بعد احتراق الأرض، دموعه وهو يتسلم جثمان أخيه بعد احتراقه في القطار.

يتذكر دموعه التي يجدها تسيل على وجنتيه وهو ينهض ليشرب في الفجر.
فيقرر ألا يبكي أبدًا.
"داووووود... داووووووود".
تترل زوجته وراءه وهي تحمل طفلهما المتبقي، يلتفت إليها، فتنظر له متسائلة، بينما ينظر إلى ما وراءها بفزع، حيث رُسم على الجدار ظلها وظل رضيعها تحيط به عشرات من ظلال القطط السوداء..
"داووووود... داووووووود".
يزداد العويل، ويعلو صوت الخمش... يمتزج ببكاء الطفل المستيقظ، تفر ظلال القطط... تنطفئ (اللمبة الجاز)... يفتح (فايز) الباب... يهز كتفه باستسلام: "ماليش.."

3 مايو 2011

خطايا الأيام السبعة

اختلطت آمالي بألامي، كعرق الطريق الملتصق بوجنتي، أفكاري المتشققة من عناء الرحلة الصعبة، مرورًا على قريتهم الغريبة... قريتهم التي يقدسون فيها القطة الكاذبة، يظنون أن الجن يعاشر كل المخلوقات عدا القطة؛ لذا يحلفون بشرفها، يظنون أن الأرواح الصالحة تغادر جراب أجسادها لتتلبس القطط؛ لذا يحذرون دومًا من مغبة إيقاظ النائمين، ربما لذلك ضمائرهم نائمة.

أمر على قريتهم، لعلّي أقتبس منها زادًا، فيلقون في حجري قصته العجيبة.

استيقظ من النوم، أو ربما مازال نائمًا، مشوش الذهن، تهتز المرئيات من حوله كأنما هي سراب في قيظ الصحراء.

يجاهد للنبش في ذاكرته، لعل غبار ما حدث يعلق بذهنه، من هو؟ ولماذا قتله، وهل قتله فعلًا؟ والسؤال الأهم... هل مات؟

تناديه والدته ليتناول وجبة منتصف اليوم، وجبة منتصف اليوم؟!! هل نام كل هذا الوقت.. محال، متى سيعمل في حقله إذن؟

يجلس أمام (الطبلية) واضعًا مرفقيه عليها، محاولًا إسناد رأسه من التهاوي في بئر الغيبوبة. ينظر لأمه وهي تضع الطعام بعينين لا تبصران، غير مصدق ما يراه على (الطبلية)، يسألها مترددًا: "هل هذا ما أعتقده؟".

تجاوبه وهي تبدأ في القطع: "لقد أحضرت جثته.. وأعددتها طعامًا".

"لا قاتل في دار الحطاب" تموء القطط بهذه العبارة... وكان هذا إيذانًا ببدء الأيام السبعة.

الخطيئة السابعة في اليوم الأول:

خطيئة الكسل "لا تتكاسل عن إخفاء جريمتك".

يجرجر ساقيه اللينتين لكي يذهب للحقل، هذا قليل من الكثير المتسرب من قاع ذاكرته.

تمر قطة سوداء بجواره، تنظر له وتموء: "لا قاتل في دار الحطاب".

يركلها بعنف صائحًا: "لم أقتله... لم أقتله... وإن قتلته لم يمت".

يحاول العمل؛ ضربة.. تليها ضربة... تليها ضربة.. يفرغ انفعاله في العمل الشاق، إنه لا يشعر بتسلل ضوء النهار لعباءة الظلمة، ولكن ظلمة قلبه تفوق ظلمات الليل من حوله، تخرج القطط من كل حدب وصوب: "لا قاتل في دار الحطاب"، تردد القطط العبارة، بإصرارٍ خانق... يركل ما يستطيع وهو يركض تجاه داره.

اندفاعه يفزع الأم.

– "ما بك؟!".

= "ألا تسمعين القطط؟!".

– "إنهم يبرئون البيت...".

= "إنهم يحاولون الوشاية بنا".

"بنا؟!! لعلك تقصد بك"، يقولها ببساطة من ركنه المظلم في النفوس.

يندفع ليقتله مرة أخرى... يقتله مرة.. ومرة... ومرة، تلك الغصة في حلقه، وهو يلهث، يلتفت للأم: "لا داعي للكسل، هيا بنا نخفي الجثة".

* * *

الخطيئة السادسة في اليوم الثاني:

خطيئة الكبرياء "أخرجِ الشيطان من الجنة".

"ولكنني لا أخشى شيئًا"، يقولها بكبرياء واعتداد، واضعًا الجثة في وضعية

الجلوس.

– "أنا لم أعد أخشاك بعد الآن، ماذا تقول، ارفع صوتك البغيض الذي طالما بلغ عنان سماء الجبروت.. أو تعلم؟ يقولون في الكتب القديمة إن جريمة الآباء يدفع ثمنها الأبناء، تسخر مني كعادتك وتقول من أين لي بمعرفة الكتب القديمة، سمعت عذارى المعبد يتحدثون عنها..".

يتلقط أنفاسه قبل أن يكمل: "جريمة الأجداد والأباء يدفع ثمنها الأبناء.. يا قسوة الـ..".

"...لا قاتل في دار الحطاب"، تموء جماعات القطط وهي تجوب أزقة القرية، يتردد صدى كلامها عاليًا.

تخرج الأم خائفة كعادتها، تنظر للأبرة في يده: ماذا ستفعل؟!

يجاوبها كالمأخوذ: "أيتها الأم الطيبة عن الحد اللازم للحياة، ربما لا أستطيع أن أخرس القطط، ولكنني أستطيع أن أثقب أذني".

يقرن قوله بفعله، ويراقب بهدوء صرخة الأم الصامتة.

* * *

الخطيئة الخامسة في اليوم الثالث:

الحسد "احسد ما تشاء، فالحياة ليست عادلة... ربما هو.."

يجوب نفسه دومًا حسد هائل كأمواج متلاطمة تحيط بقارب مثقوب، يشعر بالغل من كل محيطه ومساحته في عالمه الضيق، دومًا يرغب في أن تزول نعمتهم، لا يريدها لنفسه، يريدها فقط أن تتلاشى أمام أعينهم، يريد أن يضحك كثيرًا وهو يراقب حسرتهم تذيب وجوههم المنعمة.

"لاقاتل دار الحطاب... لا قاتل في دار الحطاب"، لا يعير سمعه للقطط.

لكنه يراها أمامه أينما ذهب، تشكل بجسدها عبارة اتهام كبيرة.

"... لا قاتل في دار الحطاب".

لماذا الكل سعيد؟ لماذا كل مبتهج؟ لماذا الكل يملك كل شيء؟!

".. لا قاتل في دار الحطاب"، مازالت أمامه في كل شيء.. في المرآة... في

ظلال المارة.. في وجع الصبايا... في ورق الشجر.

يصل لداره، يدق بابه، تفتح أمه، لا يرى دهشتها المعتادة وخوفها الكريه.

"أمي، سيحسدني الكل من الآن، أصبحت متحكمًا، لن أرَ القطط بعد أن فقأت عينيّ"

* * *

الخطيئة الرابعة في اليوم الرابع:

الجشع "بطونهم كهاوية الجحيم".

يأكل بجشع.. يشرب بجشع... يجامع امرأته بجشع... يعمل بجشع.. ينام بجشع.. يدور في الحياة كالمهووس بكل شيء... كالمحروم من كل قطرة رضا، دومًا يتسرب شبعه كالزئبق من شبكة صيد الحيتان، يحاول التشبث بجدار بئر الحرمان الهاوي فيه بسرعة البرق الخاطف للأبصار.

"...لا قاتل في دار الحطاب"، كلما وضع يده على شيء يشعر بملمس القطط، كلما أمسك كوبًا ليشرب، كلما أمسك طعامًا، كلما اقترب من امرأته يكاد يشعر بملمسها في حلقه. يبصق على الأرض، ينظر للأم الخائفة كالعادة المعتادة. يستمتع لحظات بخوفها وهي تنظر للجثة، يكاد يبصر لمحات الجنون التي تبرق في ثنايا وجهها.

تقول له: "يجب أن نواري سوأة ما فعلت".

يحاول أن يحرك الجثة، لكن ملمس القطط المزعج يعيقه، يترك الجثة، يتجه للباب، تسأله الأم: "إلى أين أنت ذاهب؟".

– "لا تقلقي أيتها الأم، سأتخلص من ملمس القطط اللعينة، سأسلخ جلدي".

* * *

الخطيئة الثالثة في اليوم الخامس:

الطمع "إذا كنت من الأقوياء فإنه لا يقل ما جمع"

"..لاقاتل في دار الحطاب"، تموء القطط، وصوتها يسبح في فضاء القرية

الضيقة بجوار الطيور، بين السحاب، على ضفاف نسمات الهواء التي تتلاطم بنعومة في سماء القرية.

"...لا قاتل في دار الحطاب".

يتقيأ الطعام، تتناوله الأم وتتذوقه، تسأله في استغراب: "ما به الطعام؟".

- "ألم تتذوقيه؟".

= "نعم، هل تعافه نفسك لأننا طهونا جثته".

- "لا.. ولكنني أشعر بطعم القطط في كل لقمة، وكل شربة حساء".

= "ألم تقل إنك أصبحت المتحكم، ماذا ستفعل هذه المرة؟".

- "الحل سهل... سأقشر لساني حتى لا أتذوق، سآكل كالسباع الكاسرة، ألم آكل من قبل كالبهائم، لا يضير الشاه سلخها بعد ذبحها، ولا تضار النفوس المشوهة بأن تشوه أجسادها".

إن كان له فضل في شيء ما، فيكفيني إنه قتلني في نفسي... ودفنني في ذاتي، لا أشعر بندم قتله، أشعر بندم عدم قتله كل يوم.

الخطيئة الثانية في اليوم السادس:

الغضب "اغضب كالريح العاصف"

- "أين هو؟".

"...لا قاتل في دار الحطاب"، يندفع كالمجنون.

- "أين هو؟".

"...لا قاتل في دار الحطاب".

يختلط الماضي بالحاضر، يتبعثر ما تم بين مخالب ما سيتم، يمتزج الفعل بالقول، جاءت لحظة الحساب، أو ربما جاءت فيما قبل، يجدع أنفه حتى لايشم أنفاس القطط.

- "لا شيء يمنعني عنك الآن".

لا يفهم سر استسلامها ووقوفها أمامه ساكنة كالدمية.

- "سأقتلك".

يلوح بمنجله...

"...لا قاتل في دار الحطاب".

يجاوبها كالمأخوذ: "الآن سيكون... القاتل يولد من رحم الظلم.. الظلم يولد من أحشاء الغدر.. عقدت المحكمة وأنا قاضيها... العدالة الخرساء نطقت الحكم وأنا جلادها...".

يخيل له أنه هو الذي هوى على منجله، متعجلًا الموت... متعجلاً الخلاص، لم يعد يعلم من قتل من؟ امتزجت الإرادتين، تهاوت ضربات المنجل.. تراخت أعصاب المقتول.. هابيل وقابيل... في عرضهم المستمر منذ فجر التاريخ.

تهدأ نفسه وتخور قواه؛ فينهار بين الدم الفائر كحمم الجحيم.

تدخل الأم، تقول: "الدواء المر... تجرعته النفوس المريضة".

* * *

الخطيئة الأولى في اليوم السابع:

الشهوة "لا تشتهِ سوى الموت".

- "أو تشتهيه؟!".

= "نعم.. بكل جوانحي".

تمزق ثيابها: "أنا لك... أنا ملكك.. أطهر لك".

تعبث بعقله خمر الشهوة: "وأنا أريده هو".

- "إنه ولدك؟! إنه لحمك؟".

= "وأنا حر في لحمي... سأمزقه بسكيني الحاد وآكله لو شئت".

تحاول بجسدها الضعيف وإرادتها الواهنة أن تمنع جموحه، لكنها تفشل... تجد نفسها تطير من ضربة ذراعه لتصطدم بالحائط.

يتقدم نحو فراش ولده، تتعلق بذراعه وهي تهتف: "على الأقل لا توقظه... إن روحه البريئة الصالحة غادرت جسده لتجوب القرية في جسد قطة... ستقتله إذا أيقظته وستجب عليك لعنة القطط".

- "لا أصدق أكاذيبكم.. لا أصدق قططكم".

تندفع شهوته بجسده.. ويندفع منجله بذراعه ليمزق جسد النائم المدفون تحت غطاء البرد القارس... لم يعد يعلم ما يريد أن يفعل، إنه يريده شهوة، ولكن منجله يمزق جسد النائم.. يستدير النائم... ولوهلةٍ يرى قطة كبيرة الحجم متدثرة في الغطاء... فيسقط من الفزع أرضًا، ولكن تذوب القطة ويحل محلها جسده هو نائمًا على الفراش، يلتصق بالحائط في فزع... يرى بعين الخيال التائه الأم والولد يمزقان جسده قطعًا صغيرة، يخرجان خارج الدار فيتتبعهم في عدم إدارك... يلقون بلحمه لقطط القرية، تنظر الأم إلى السماء وتقول: "الآن سيكون قبره في بطن كل قطة بالقرية".

"قاتل دار الحطاب... قاتل في دار الحطاب".

يصرخ برعب، ويركض بعيدًا.. والدماء مازالت تسيل من يده، لم يعد يعلم ماذا يحدث ولا لأين يذهب، ولا من الضحية؟ ومن الجلاد؟

"قاتل دار الحطاب... قاتل في دار الحطاب".

ينظر إلى الدم في يده.. يندفع ليغسل يده في الترعة.

"لا تكفي لغسل يدك من الذنب"، يستدير لمصدر الصوت، يجد القطة المقدسة تقف على ساقيها الخلفيتين.

"قاتل دار الحطاب.. قاتل في دار الحطاب".

- "ماذا تريدين مني أيتها اللعينة؟!".

= "أنت الذي تريد مني.. تريد أن تفهم، أكنت تظن أن جريمتك تمر دون عقاب؟".

يشير للقرية: "الكل يهرب من ذنبه".

تتجاهل قوله وتكمل: "كل أيام سبعة ستحيا كضحيتك، وتعيش عذابها

مختلطًا بعذابك، كل أيام سبعة يبدأ وينتهي.. وتتلوى أنت في لهيبك".

ينظر لها بحقد: "إن عذاب الضمير هو أبشع المسوخ إرعابًا".

بابتسامة دموية تجيب: "بالضبط... كل أيام سبعة، وكل يوم ستفقد حاسة من حواسك بيدك التي اقترفت الذنب وستقـــ....".

لا تكمل جملتها بينما ينتزع منجله من صدرها، قائلاً في غل: "لن أموت وحدي إذن".

تتموج صورة القطة وتختفي من على جسد الأم المترنح حاملًا المنجل بين ضلوعها..

"لقد تعجلت بداية الأيام السبعة".

يصرخ وهو يرى ضوء النهار يتخلل سحب الليل.

2010/01/12

عطش

"في اليوم التالي للموت سأكون أكثر راحة، سيزول الضباب عن عقلي، ستمحى الأوهام عني... كوني غير محبط معناه زوال رغباتي".

يرفع قلمه عن الورق.

* * *

يقترب منها رويدًا، بينما تلك القبضة الشائكة تعتصر قلبه وتهز أعصابه كالأوتار: "أقول إزيك؟ ولا...".

تتلمس أناملها كفه: "أقولك وحشتني؟ ولا؟".

– "كوني شفتك بخير.. بيعفيني من ألف سؤال عنك".

تغالب ترددها: "هو ما ينفعش نرجع؟!".

ينظر بعيدًا: "احنا جرحنا كتير قوي في بعض. احنا ممكن نرجع نبص لبعض من غير غل وكراهية.. ممكن نشوف بعض زي ما كنا في أول الطريق.. ممكن..".

تقاطعه: "أنا عندي كلام هيبسطك قوي".

ينظر لها متسائلًا، لكن صوت جرس الباب ينتزعه من حلمه، ينهض مفزوعًا ناظرًا حوله في غيظ، يعود برأسه إلى الوسادة.

= "قولي بسرعة اللي كنت عايزة تقوليه".

ينقص الفم ملامحها، تمد يدها إلى الحائط لتضغط زر جرس الباب.

جرس الباب يدق بغل.

ينهض وهو يمسح النوم من على وجهه، يفتح لعاهرته المسائية، يبادرها بالقول: "عمرك زارك في الحلم..."، تنظر إلى ما خلفها، تسأله بدهشة: "إنت بتكلمني أنا؟".

يكمل كالمأخوذ: "وكنتي فاكرة إنك محتيه من ذاكرتك، لكن يرجع

يوحشك لدرجة إنه يبقى بطل أحلامك ليالي طوال؟ تطرديه من قلبك فيحتل عقلك؟".

تجيبه: "بالنسبة لي؟ أنا مش فاهمة.. أنا كبيري...".

يقاطعها ساحبًا إياها إلى حجرة النوم: "خشي بس غيري هدومك لحد ما أخلص الكلمتين دول.. في الفصل المعقوب ده".

وهي تتجه للغرفة: "مش عارفة بتكتب ازاي كده؟".

– "أنا ما بعرفش أكتب كويس إلا بعد الشهوة".

* * *

"تستطيع أظافري أن تخدش ظهري... لا تستطيع أناملي اللمس... ولا تحتوى كفي وردة... إلا وتكون ذابلة... لا يكفيها ماء الحياة لتنتصب قامتها... شمسي لونها أبيض تظهر في المساء.. أفقي ملتصق بأطلالي".

* * *

يشغل (الهاي فاي)، فيبدأ (عبد الحليم) بالغناء: "ياما قالتلي عينيه ساعة الفراق خليك شوية".

– "إيه ده؟! هرقص على النكد ده ازاي؟!".

= "ما هي دي المهارة بقى... وريني".

تبتسم وتبدأ في الرقص: "سمعت آخر نكتة؟!".

يشاهد فمها وهو يتحرك، ولكنه لايسمع شيئًا... لا يعود إلى أرض الواقع إلا على دوي ضحكتها.

تضحك بهيستريا، يدفعها نحو السرير، يولج فيها أشياءه، يشرعان في التذاوب.

"في المرآة.. اعذر الجميع... التقط حجرًا معهم".

"استغنى... استغنى".

تفور شهوته فيها.. يعود للخلف قليلًا ليلتقط أنفاسه بصعوبة.

تستدير لتصفعه: "يووووووه.. وهو كل مرة القرف ده؟".

– "أنا آسف".

تضم رأسه لصدرها الملتهب: "أنا اللي آسفة.. فكرتك بيها كده؟ صح؟".

– "يعني شوية".

= "خلاص، تعال نطلع السلم من الأول...".

– "وأنا كمان هجرب طريقة قالهالي واحد صاحبي".

= "اوعى تكون هتأخر بسنة أفيون".

– "لا لا... قبل آخر سلمة أحاول أودي تفكيري في حتة تانية... أفكر في حاجة بعيدة عن الجنس".

= "براحتك".

يبدءان من جديد في صعود السلم.. درجة... درجة... تشعر أن حرارته تتزايد: "فكر في حاجة تانية".

يبدأ في التفكير.

* * *

هو في جزيرة منعزلة، ينام على رمالها الصفراء متأملًا البحر الأزرق أمامه– ركز على الألوان– ينظر يمينه يرى حسناوات يرتدين (البكيني)، يشيح بوجه، ينظر يساره... يجدهم يخلعون (البكيني)، يصرخ في فزع... ينهض.. يجري... يقفز في البحر... يشرع في السباحة بكل ما أوتي من قوة، يجدهن يسبحن حوله... حتى سمكة القرش التي قفزت أمامه كانت ترتدي حمالة صدر وتلاعب حاجبيها في شقاوة، يغمض عينيه ويواصل السباحة، تصطدم يده بجسم سفينة،

يشير بذارعيه، يترلون له السلم.. يصعد.. يلتقط أنفاسه وهو ملقى على الأرض، يرفع رأسه ليشكرهم.. يجد كل الطاقم عبارة عن فاتنات اكتفين بقطعة واحدة من (البكيني)، يكاد يبكي، لكن الأمل يتلاعب أمامه في سلم متدلى من مروحية.. يجري والطاقم يلاحقه، يصعد السلم سريعًا.. طبعًا... يجد قائد المروحية ملكة جمال عارية تمامًا، يصرخ بقوة... تنفجر الطائرة.

* * *

تمط شفتيها: "بس أحسن شوية من المرة اللي فاتت".

= "بس أنا حاسس إن الطريقة دي ممكن تتحسن عن كده شوية".

– "...بس حاول تفكر في حاجة بعيدة قوي عن الجنس".

= "هحاول..".

* * *

– "أنا عايز أتجوز".

رد1: "تتجوز؟!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!".

رد2: "مفيش شقة".

رد 3: "مفيش فلوس".

رد4: "إنت صحتك مش عجباني اليومين دول".

رد5: "ومين دي اللي مستنياك تيجي تاخدها على حصان أبيض؟".

– "لا حصان أبيض.. ولا قوبة بيضا... مفيش داعي للتريقة..".

* * *

... تقول متقطعة الأنفاس: "اصبر شوية كمان".

* * *

ملمسها؟... أم انفها؟

كان أول انطباع تكوّن عنده أنها متكبرة، هذا الأنف الصغير المدمق، المرفوع لأعلى، يمثل عنده الصورة التقليدية للتكبر.

ماذا عن ملمسها؟ يذكر أول مرة احتكت فيها يداهما، وبعد اعتذراها

أحس أن جلدها الناعم المشدود أقرب لملمس السمكة في خياله.

وبعد أن أحبها، وهو يصافحها شعر أن إصبعها الكبير كالجمبري.. لذيذ وشهي.. مغري لحد الجنون، تصور نفسه كثيرًا في خيالاته يرضع منه كالأطفال.

بعد أن تنافرا كفا عن اللمس غير المقصود.

* * *

ترفع رأسها من صدره لتلتقط أنفاسها: "نريح شوية؟".

= "براحتك".

تسأله: "عايزة أسألك على حاجة".

يمرر أصابعه على شفتيها: "اتفضلي".

= "هو إنت بقى كنت بتحبها.. الحب اللي هو بتاع السرير؟ ولا اللي هو بتاع بيت وعيلة وعيال صغيرة؟".

* * *

"مكنتش متصورة إني عمري هاجي أحضر مسرحية" تقولها وهي تسير بجواره.

= "ما هي مش أي مسرحية... دي مسرحية من تأليفي".

– "بس متضايقة من حاجة".

= "إيه؟!".

– "النهاية، النهاية مش سعيدة".

= "بيتهيألي موضة النهايات السعيدة انتهت من زمان....".

تقاطعه وهي تشير لصديقتها وزوجها: "دي زينب أهي هي وجوزها وبنتها".

يصافح الجميع بعضهم البعض، تلتقط هي الطفلة وتقوم بعمل كل أنثى في هذه المواقف، تلاعب الطفلة بملامحها الجميلة، ينظر لها مبهورًا... أهي بهذا الصفاء والحنان.

= "بقولك".

- "إيه؟".

= "هتتجوزيني؟".

- "مكنتش بقيت معاك لحد دلوقتي".

دائمًا كانت الإجابات ملتفة.

* * *

"بس الناس دول ساكنين بعيد قوي"، يفكر هكذا وهو يتجول في (وسط البلد)، يشعر أنه في حلم طويل، يحاول أن يرتب الكلمات التى سيحاول أن يزين ظروفه ونفسه بها أمام عمه الافتراضي.

"ده أنا لو خدت لهم حلويات عقبال ما هوصل هتبوظ"، يواصل السير، يقف أمام (جاليري)، يستوقف نظره (بورتريه) جميل لطفل صغير، يحدث نفسه في سعادة مجنونة: "هو ده التجديد.. هي دي بصمتي.. بدل ما أخدلهم حلويات زي كل البني آدمين.. هخدلها البورتريه ده.. أكيد هتفرح بيه.. مش هي بتحب العيال الصغيرين".

بعد أن يشتري الـ(بورتريه) يرد له اتصال منها، يحاورها متوجسًا: "ألو".

- "أنا آسفة".

يتذكر (منى زكي) في فيلم (اضحك الصورة تطلع حلوة): "أسفة؟!.. أسفة على إيه؟ هو انتي دوستي على رجلي".

- "مش هينفع.. حاجات كتير تقف بينا".

= "غير أمك؟!".

- "أنا مش هرد عليك، وياريت يبقى تعاملنا عادي، ياما ناس كانوا متجوزين واتطلقوا واتعاملوا مع بعض عادي".

= "عارفة.. أنا لما أكون معدي جنب شحات، وأكون عايز حاجة ضرورية من جيبي، ما برضاش أحط إيديا في جيبي... عشان ما يتعشمش.. وأخلي بيه".

- "أنا آسفة".

= "مش أكتر مني".

* * *

نهاية (17 يناير):

تهتف: "دلوقتي... دلوقتي... بسرعة".

يهمس في أذنها: "فاكرة لما كنتي بتقولي إن الست ممكن تقتل راجل في الحالة دي.. لما تضرب على عصب معين".

– في خوف: "ده كلام مش أكيد".

= "احنا جربنا كل حاجة ناقص ده".

– "حاضر".

* * *

نهاية (82)

تهتف: "دلوقتي... دلوقتي".

يتراجع في جمود عندما يفشل: "باين الطريقة نجحت أكتر من اللازم".

* * *

نهاية (26)

يراقبه الطبيب وهو يقول لها: "دي أغرب حالة شفتها في حياتي".

تنظر له جالسًا في الغرفة الزجاجية، كان يجلس في غرفته عاريًا ينظر ببلاهة وجمود ناحيتهم، يهتز كالمأخوذين، بينما لا يكف فرجه عن الإنزال.... ثم يواصل الكتابة على الحائط:"أصبحت ملعونًا مثل ميداس... كلما لمس شيئًا تحول ذهبًا... وكلما لمست حلمًا مات".

31 مايو 2011

عسلية يقابل بؤبؤ الفزع

في المستقبل الغريب..

عيون الشر ذات اللون الأحمر المخيف هي فقط ما تستطيع أن ترسمه. تتراجع لتملأ بصرها من كل تلك العيون الحمراء التي تطل عليها من حائط غرفتها. تبدأ العيون المرسومة في التحديق، فتتراجع في فزع لتسقط بين أيديهم.. فيسحبوها لخارج الغرفة.

* * *

يوقف ميكروباصه المتهالك، ينزل منه سريعًا غير عابئ باحتجاج الزبائن – أو (البهايم) كما يطلق عليهم– يقفز من على سور الحديقة، يتأكد من عدم مشاهدة أحد له، يتجه إلى تمثال المفكر في منتصف الحديقة، يفك أزرار بنطاله ويدع حاجته تنطلق على قاعدة التمثال وترتخي أعصابه في ارتياح بينما يدندن مع خرير المياه بأغنية هابطة.

يقطع انسجامه يد غليظة تعتصر كتفه، فيلتفت وهو يستحضر كل رصيده من السباب، ومع إطلاق صوت شبيه لصوت الخنزير، لكن كل أحلامه في الشجار تتبخر عندما يبصر شرطة النظام تحيط به.

* * *

كانوا يجبرونها على العري، تسترخي رغمًا عنها في حوض الاستحمام، تنزلق بهدوء إلى أسفل مستوى الماء، تنظر إلى السقف من خلال الماء... فتراه يتموج، لا تدري هل السقف يتموج فعلًا أم هذا من تأثير المياه، تحول بصرها إلى حلمتيها الورديتين محاولةً إبعاد مخيلتها عن كوابيس الأمس، لدقائق مغلفة بصوت الصمت العالي تنجح في تنقية ذهنها، لكن تتموج حلمتيها لتتحول إلى أعين الشر الحمراء، فتجفل بين اليد الغليظة التي تمتد لتخرجها.

* * *

"حكمت محكمة الانضباط والنظام على السائق (سيد خيرت) الشهير بـــ(عسلية) بقضاء فترة عقوبته في (مصحة التنظيف العقلي) حتى يتم تقويم

سلوكه، ويعود كمواطن صالح يخدم مجتمعه". يقولها القاضي وهو يجول ببصره بين الحضور قبل أن يكمل: "الحق.. الخير.. الجمال".

ثم يصفع منضدته بمطرقته.

يتنهد (عسلية) بارتياح لعدم حصوله على حكم بالسجن، فهو دائمًا ما يفكر أن قضاء فترة عقوبته بالمصحة أهون من السجن.

ستكون أشبه بنزهة.

وصوله للمصحة، ومشاهدته لحال النزلاء، وعلو الأسوار، وشدة طاقم العاملين جعل أحلامه تتبخر.

* * *

عادت من مغامرتها ولم تمح بعد من مخيلتها صورة المحل ولا صورة البائع العجيب، تطوح حذاءها وتخلع معطفها، تضع حقيبة الهدايا الضخمة على المنضدة وتذهب لتعد كوبًا من الشاي الأخضر الذي تعشقه، تعود لتلقي جسدها المرهق وتشغل التلفاز ليتقيأ عليها أخبار اليوم الكئيب... لم تعد هناك أنباء طيبة في هذا الزمن، تتحدد الأخبار الطيبة بقلة عدد الأخبار السيئة والكوارث، تحين منها التفاتة ناحية حقيبة الهدايا فتجدها مكومة خاوية على يمينها، تميل [illegible] الحقيبة وتقلبها بحثًا عما اشترته، لكن الحقيبة كانت خالية كطموح بائس، تحك رأسها في غلٍّ مندهش، تحين منها التفاتة فتجد دمية الأرنب الضخمة التي اشترتها على يسارها.

دائما ما كانت تكذب ذاكرتها: "أكيد أنا طلعته من الشنطة قبل ما أخش أعمل شاي"، تهدئ نفسها بتلك الجملة، بينما تتأمل الابتسامة السعيدة الصامتة على وجه الأرنب.

* * *

مرت الشهور الثلاثة الأولى على (عسلية) كعمر نوح، كان داخل تلك الزنزانة المبطنة بالمخمل الأبيض، باستثناء هذا الحائط المكون لشاشة عرض ضخمة تبث على بصره طول اليوم العديد من اللوحات والمزيد من الصور الخاصة بالمناظر الطبيعية الخلابة، بينما تصب السماعات الضخمة الملتصقة

بسقف الغرفة الموسيقى الكلاسيكية والأغاني التي صدحت بها أجمل الأصوات عبر تاريخ الموسيقى البشرية.

بينما يأتيه طعامه من تلك الكوة التي يتغير مكانها بشكل يستحيل التنبوء به، حالها حال خرطوم الماء والصابون الذي ينظفه، خرطوم الماء الذي يندفع بعد إنارة ذلك المصباح الأحمر.

لطالما كره اللون الأحمر.

* * *

"we buy every thing"

يستوقفها ذلك الإعلان الصغير على تلك الشجرة العتيقة بحي المعادي.

دائمًا ما كانت تصل مبكرًا لمحطة ثكنات المعادي فتهبط لتسير حتى عملها بمحطة المعادي. كانت تعشق السير في شارع 9 أو شارع (الخواجات) كما تطلق عليه. كان الشارع نظيفًا تظلله الأشجار العتيقة من الجانبين، وتتناثر المطاعم التي يكثر تواجد الأجانب بها. كانت تحب مشاهدتهم يفطرون ويتجولون بكلابهم في نزهتهم الصباحية. كانت دومًا تشعر أنها غادرت البلاد كلما مرت بهذا الشارع.

في هذا اليوم قررت أن تنحرف في تلك الشوارع الجانبية على أمل الوصول لميدان الحرية أو النهضة، أو ربما تسير إلى الاتحاد لتشتري (رز بلبن)، لكن استوقفها ذلك الإعلان.

"we buy every thing" وبجانبه مكتوب رقم هاتف.

فقررت كمغامرة صباحية أن تتصل..

* * *

كان هناك يوم واحد فاصل لجميع نزلاء (مصحة التنظيف العقلي) بعد كل ستة أشهر من التنظيف العقلي في الزنزانة الفردية الخاصة بكل نزيل.

يوم واحد طبيعي بعد ستة أشهر من العزلة مع الفن الراقي بالنسبة لحالة (عسلية).

الذي كان يلتفت فيما حوله بانبهار، كان أول مرة يدرك جمال نور الشمس، ارتمى على الحشائش قليلًا ثم ما لبث يجري كالمجنون يلمس كل شيء حوله، حتى توقف أمامها وهي تداري عورتها بورقة شجر صغيرة، بينما لا يهتم هو بمواراة سوءته، يقترب منها عندما أشارت له.

كانت تتلفت حولها كالمذعورة:

= "عايزة أقولك على سر.. وأمنك أمانة إنك تنقذ بقية الناس".

– "يعني إيه أمانة؟!".

وطوال الثلاثة وعشرين ساعة المتبقية من عمر ذلك اليوم حاولت أن تقول له جملة واحدة فقط: "كان اللي جواه متلوث بدم".

وبينما يعيدونهم إلى زنزانتهم، فكر (عسلية) لأول مرة في حياته أنه سينتظر مرور الستة أشهر القادمة على أحر من الجمر... ليفهم منها.

* * *

"أنا بقى مش عايزة أبيع.. عايزة أشتري"، تقولها بثقة لذلك البائع العجيب صاحب الابتسامة المنزلقة بسماجة على وجهه دائمًا.

= "كنت عارف إن هيجي اليوم اللي أكون فيه بياع مش شاري".

– "طب كويس إنك كنت متأكد من ده".

يميل عليها: "أنا كنت متأكد.. بس يا ترى انتي متأكدة؟".

تهز رأسها إيجابًا، فيهتف بغضب: "لأ".

تتراجع بخوف، فتلين ملامحه ويفح قائلًا: "أنا أسف.. بس لازم تقوليها.. لازم أعرف إنك كفء لقرارتك".

– "قرارات إيه؟! دي مجرد مغامرة صباحية كده".

بتوسل متكبر: "بدل ما هو كده، مغامرة صباحية أقصد، فمفيش مانع إنك تكمليها.. وتقولي إنك متأكدة".

= "خلاص.. مفيش مشاكل.. أنا متأكدة إني عايزة أشتري".

تنفرج أساريره، ويدخل إلى الباب الخلفي فتتأمل هي المحل من حولها، كانت حوائط المحل مجلدة بالخشب، ولكنه خالي، لا توجد بضاعة من أي نوع. بينما يأتيها صوته من الداخل: "للأسف مفيش اختيارات كتير، هي حاجة واحدة بس اللي هبيعها.. وخليكي فاكرة إنك قلتي متأكدة"، تبتسم سخرية مما يقول، بينما يخرج لها بدمية على شكل أرنب أحمر ضخم يبتسم في رضا. تضحك هي وتقول: "كل ده على أرنب؟!! أنا فكرتك هتطلعلي بمصباح علاء الدين".

يقول لها بثقة: "بس ده مش أي أرنب.. ده أرنوب المخصي".

تنظر له في دهشة، قبل أن ينفجر ضاحكًا معلـنـًا عن مزاحه الثقيل، بينما تبتسم هي في شحوب: "ما اتفقناش على السعر".

يبتسم في رضا: "مش هنختلف".

* * *

تتذكر كل تلك الحكايات القديمة عن تلك الدمى المتحركة المسكونة بالأشباح وهي تراقب دميتها الضخمة من ظهرها وهي ترسم على الحائط أعينًا شريرة حمراء، تتجمد لساعات من الفزع، قبل أن يلتفت إليها فترى عيناه تذرف الدمع الأحمر.

* * *

"سرقت العلم من المدرسة عشان أشجع بيه في ماتش الجزاير"، يرددها (عسلية) مرارًا وتكرارًا، لقد هداه تفكيره لترديد أشياء عن ماضيه حتى لا تمحى كل ذكرياته.

"وتاني يوم رجعت العلم"، يدور في محبسه كالمجذوب، يحاول تذكر ملامحها حتى يتعرف عليها في الخروج القادم.

لكن كان ينساها مرة كل ثلاثة أسابيع.

* * *

يتلاعب الجنون والرعب بعقلها على مدار الأيام التالية، حتى هذا اليوم الذي قررت فيه العودة لهذا المحل، لكنها لم تستطع الاستدلال عليه في هذا اليوم، فقدرت أنها غير متزنة لذلك لا تستطيع التركيز والعثور عليه.

عادت لمنزلها لتجد دميتها الضخمة تواصل الرسم، فاندفعت إلى المطبخ لتعود حاملة سكينة ضخمة انهالت بها كالوحش الكاسر على الدمية بطعناتٍ سريعة متلاحقة تفجرت لها الدماء من الدمية وتناثرت على وجهها.

مزقت الدمية لتخرج حشوتها الداخلية، كانت مكونة من خرق بالية قديمة غارقة في الدماء، ترفع الخرق أمام وجهها، تنظر لها بدهشة، قبل أن تشعر برأسها يميل بشكل عجيب.

* * *

كانت قذارته تكره النظافة.

= "من هو موسيقار الأجيال؟".

– "أ/ محمد عبد الوهاب".

كان فقره يحقد على الأغنياء.

= "من هو الفنان الذي رسم لوحة حقول القمح؟".

– "أ/ فان جوخ".

كانت عشوائيته تتمرد على النظام.

= "من هو مخرج فيلم باب الحديد؟".

– "أ/ يوسف شاهين".

كان جوعه يكره المشبعين.

= "من هي كوكب الشرق؟".

– "مدام أم كلثوم".

كان قُبحه يكره الجمال.

= "إيه أهم جملة في تاريخ السينما المصرية؟".

– "القشطة وحشتني يا رجالة.. أ/ عادل أدهم يقول على مدام نبيلة

عبيد".

تأتي كل إجاباته صحيحة أمام لجنة الاختبار.. فتطلق سراحه.

* * *

تندفع إلى داخل المحل فتجد البائع يتشبث بالحائط وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ترفع الخرق الملوثة بالدماء وتصرخ في وجهه.

فيقول لها لاهثًا: "المستشفى العام.. مستشفى الفقراء".

من بين العديد من المستشفيات الاستثمارية، كانت هناك مستشفى عام واحد للفقراء... تواصل الصراخ في وجهه، فيكمل: "مستشفى الفقراء.. قطع غيار للأغنياء".

تواصل الصراخ والفهم، بينما يكمل بأنفاس متقطعة: "الدم.. الدم.. القماش ده من زبالة مستشفى الفقرا".

تواصل الصراخ، يواصل لفظ أنفاسه وكلماته: "خدت القماش ده وعملت بيه الأرنب".

تصرخ حتى تكاد أحبالها الصوتية تتقطع: "كان لازم... الموت.. الدم... الشر.. يعيش.. السر يتدفن.. الموت.. الدم... عين الشر... أموت... الأرنب.. تموتي... الفقرا... الدم.. الأغنيا..

.. الدم... الدم...".

يسقط ميتًا.

* * *

كواجهات المحلات الضخمة، تتجاور تلك الواجهات المليئة بتلك المادة الحافظة، بينما تسبح فيها أجساد الموتى.

"ودي جثث الناس اللي فشلوا في إن عقولهم تتنضف"، يقولها مرشدهم في رحلتهم التثقيفية الإجبارية.

يقف قليلًا أمام جثتها السابحة، يقرب يده من الواجهة، يكاد يرى الحزن على ملامحها الميتة.

يشير لهم المرشد بإكمال التجول في ذلك المتحف، قبل أن يقفوا أمام هذه اللوحة الشهيرة:

"واللوحة دي كانت اتسرقت في أول القرن الحالي، لكن واحد من الأغنيا في الفترة دي عرض مبلغ كبير للي يرجعها، ونجح فعلًا إنه يرجعها زي ما انتوا شايفين".

يغادر المرافقين، بينما يقف (عسلية) أمام اللوحة قليلًا.. قبل أن يشرع في تشويهها.

14 ديسمبر 2010

من اللطيف قتلك

(حقيقة الرجل القرد)

حقيقة1:في الليلة التي يواجه فيها (الرجل القرد) حقيقته.

س1: إذا توافرت لك معطيات الليلة والرجل القرد، استنتج حقيقته.

منحنيات الطريق المظلم..

يذهب ليوقظ أمه كما اعتاد كل صباح، لكنها لم تستيقظ كما عودته مسبقًا، فشك أنها ماتت، استدعى جارته لترى أمه، غالبت الجارة نفورها المعتاد منه ودخلت لترى أمه، بينما جلس هو يتأمل أنامله (القردية) إذا صح التعبير، وإذا لم يصح، فما الصحيح في دنياه المقلوبة... المقلوبة؟!! ابتسم لهذه الكلمة، فالانقلاب وضعية مألوفة للقرود.

خرجت الجارة مرتاعة فتوقع أن أمه توفت، خرجت تولول من بيتهم.. فاستنتج أنها ماتت.

عادت الجارة مع نساء الحي متشحات بالسواد كالخفافيش، فتملكه هاجس وفاة والدته.

تركهم ودخل المطبخ، فتح الثلاجة لم يجد افطاره المعتاد، فتأكد من وفاة والدته.

حقيقة 2: وفاة والدة الرجل القرد.

س2: بما تفسر وفاة والدة الرجل القرد.

النصر له ألف أب..

"الهزيمة يتيمة والنصر له ألف أب"، ترددت هذه العبارة في عقله بينما يتدلى من السقف، فقفز إلى ذهنه خاطران؛ أولهما: إن الهزيمة يتيمة يحتفلون بها في أول أبريل (يوم اليتيم)، وثانيهما: إنه شديد الشبه بالنصر.

يقفز للأرض، يفكر في استعداده للدفن، يطرق الباب، يلتقط (موزة) في طريقه لفتح الباب..

- "من الطارق؟!".

= "أنا".

صوت شديد الألفة..

= "من الطارق؟!".

= "أنا".

يفكر.. هل هما اثنان بنفس الاسم؟! قبل أن يشرد ذهنه يكمل الصوت المألوف: "أنا.. ماما".

حقيقة3: هناك شيء غريب سيحدث.

س3: ما هذا الشيء الغريب؟

ليس بالموز وحده يعيش الانسان..

لكن القرود يمكنها أن تعيش بالموز وحده، يبدو أنه لا يسبب لها انتفاخ، يقف أمام الغرفة وهو في قمة الذهول، تنظر له النسوة في شفقة.. (الرجل القرد) المكلوم في والدته، يريد أن يلقي النظرة الأخيرة على والدته، يدخل الغرفة يجرجر أقدامه من شدة الخوف... ينزع الغطاء من على وجه والدته.. ببطء، كل الاحتمالات تتقافز أمامه كالقرود، يرن هاتفه المزعج.. هو دومًا مزعج.. لا ينتقي الأوقات، يرى وجه والدته المستسلم للموت.. يتنهد بارتياح.. يجيب على هاتفه، يأتيه صوت والدته: "لماذا لم تفتح لي الباب؟!".

حقيقة 4: الرجل القرد مذهول.

س4: أذكر أكثر شيء ممكن أن يخيفك؟

إنها ليست قصة مخلب القرد..

لم تسمح له ثقافته بمعرفة قصة مخلب القرد، كان يتأمل القرود التعيسة المتقافزة من الملل داخل محبسها، ربما عندما ينقلون الحديقة إلى (6 أكتوبر) سيتاح لهم مشاهدة (بني آدميين) آخرين.

تذكر في وفاة والد صديقه، وبينما كان صديقه منهارًا، تمنى أن يعود والده للحياة، صعق هو من الفكرة.. اللعنة.. إنها فكرة مرعبة، يقترب منه أحد القرود ويقول له: "من الممكن أن تكون والدتك على قيد الحياة".

حقيقة5: تم عمل محضر للـ(الرجل القرد) بسبب تعديه على هذا القرد.

س5: اختر الإجابة الصحيحة: عودة الموتى مرعبة بسبب:

أ – إنهم يعودون كأشباح. ب– الفكرة في حد ذاتها مرعبة.

ج– فيلم عودة الموتى. د– تكون الحياة أكثر ازدحامًا.

<u>ما كان ينبغي أن تطفئي النور يا سوسو.</u>

يقال إن البغل هو نتاج تهجين بين الحصان والحمار، ولم يعرف أبدًا هل هي بين (حصان وحمارة) أم بين (حصانة وحمار)؟ وقيل له أيضًا إن البغل، أو أي هجين يكون عقيمًا.

لم يتأكد من هذه المعلومة إلا في ليلة الزفاف، بعدما أشعلت (سوسو) الأنوار، ونظرت له في مزيج من (القرف–الاشمئزاز–الحرمان–البلاهة–الدهشة–الكره–العطش)، وإن كان الأخير بسبب أكلة (الملوحة)، نظرت لشعر صدره المنتصب، وقالت: "أهذا أقصى ما عندك؟!".

حقيقة 6: للنساء طاقة جبارة لترديد عبارة (طلقني... شكرًا).

س6: صل بين العبارات من العمود (أ) و(ب)

أ	ب
الرجل القرد هجين من	بل اليوم حزن وكمد
والدته لم تتوفَ	لأنها عاهر وقرد
المزيكة بجيمة	شبح أو خارقة للطبيعة
لا أفراح بل نكد	وكذلك من له ألف أب

<u>مقابر طريق السويس بعيدة عن وسط القاهرة</u>

"المزيكة بجيمة والنصر له ألف أب"، تتردد العبارة وهو في طريقه للمقبرة والدته، ينظر في رسالتها له على الهاتف: "أنا لم أمت، برجاء فتح المقبرة وعمل

الواجب"، توقف كثيرًا عند الكلمة الأخيرة، هل هي شفرة ما؟ أم أنها تقصد واجبًا مدرسيًا ما.

"الهزيمة يتيمة والنصر له ألف أب"، يفكر أنه بالتأكيد أمر مرهق أن تقول كلمة (بابا) لألف أب.

لا يخشى المقابر ليلًا، لكن كيف سيعرف مقبرتها؟ بندائها له يعرف الطريق، يبدأ في نبش القبر، يسمعها تنادي من الناحية الأخرى، بل هي لا تنادى، إنها فقط تصدر تلك الأصوات المثيرة التي كانت تصدرها لزبائنها لتشجعهم، وأحيانًا لترفع من روحهم المعنوية إذا كانوا ضعفاء جنسيًّا، فلقد كانت عاهرًا حنون؛ لذا كان يطلقون عليها لقب (الماما)، يتوقف قليلاً مفكرًا.. ربما كان حنانها هذا هو ما دفعها لتمارس مهنتها مع القرود، وليس جنون شهوة كما ظن مسبقًا، وكان هو ثمرة هذه العلاقة.

"الهزيمة يتيمة والنصر له ألف أب"؛ لذا كان يذهب كثيرًا لحديقة الحيوان منتظرًا أن يخرج قرد عجوز ليحتضنه قائلًا: "ولدي الحبيب".

لكنه كلما ذهب أمام (الجبلاية) شعر بالرعب، إذا كان كل هؤلاء آبائه.

يفتح المقبرة، تنظر له في ملل: "لم تحسن الفعلة في المرة السابقة".

يشرع في إتمام عمله: "من اللطيف أن أقتلك".

إجابة الأسئلة: تترك للطالب.

2009/8/17

مصر طالبة الطلاق

(عن وقائع حقيقية نتعمد نسيانها)

يقول لها في دهشة: "انتي نسيتي اللي حصل يوم 20 فبراير 2002؟! غريبة، بالرغم من إنك عيطتي كتير ساعتها".

* * *

10 يناير، إحدى المستشفيات الحكومية.

تدخل الصحفية (نهال) غرفة (سليمان عاشور سلميان) في المستشفى، تجلس بجواره حتى تنتهي الممرضة من تغيير الأربطة المحيطة بمكان بتر ساقه، ثم تقول له: "إزيك يا عم سليمان؟ أنا نهال شفيع، الصحفية اللي قالولك إنها عايزة تعمل حوار معاك".

يجاوبها (سليمان عاشور سليمان) وهو يحاول الجلوس في سريره: "حوار عن اللي حصل؟".

تقترب بمقعدها منه وتقول: "أيوه يا عم سليمان، اللي حصل ليلة 4 يناير 2002".

يشرد بعينه وهو يقول: "كانت ليلة برد زي التلج، كانت.. تعرفي يا بنتي؟ أنا مرتبي من سنين طويلة مية جنيه".

* * *

يقول المثل الصعيدي" "اللي مايشبعش من لحمة العيد.. يفضل طول السنة جعان".

* * *

الثلاثاء 19 فبراير، محطة مصر ليلًا، الساعة 11:30.

مع بدء تحرك القطار رقم (832) المتجه من القاهرة إلى أسوان، تدافع الجميع ليلحقوا ما تبقى من مليمترات فيه، المسافات البينية من كتل اللحم المتلاصقة تستخدم بكل الطرق. استعوض الناس ورق الكارتون والبطاطين بالنوافذ المحطمة لاتقاء الزمهرير الذي يصبه عليهم ليل يناير، والأبواب الفاصلة تحتاج إلى مقدرة غير عادية لفتحها، وفي حالة فتحها يفضل إغلاقها ثانية للهرب من (البلطجية) الذين يسيطرون على هذه المساحات الفاصلة. الرحلة تستغرق 16 ساعة. القطار يتكون من 14 عربة للركاب، منها تسع عربات للدرجة الثالثة، وخمس لركاب الدرجة الثانية، بالإضافة إلى عربتين للعفش والقاطرة والجرار. كل عربة بها مقاعد تكفي 96 شخصًا. وبسبب أنه اليوم السابق لعشية عيد الأضحى، فقد اتسعت المقاعد الثنائية لتكفي لثلاثة أو أربعة أفراد؛ أي أنه بحسبة بسيطة كان بالقطار عدد كبير من الجوعى.

* * *

تسجل (نهال) في دفترها: سليمان عاشور سليمان، دائمًا ما كان يردد اسمه الثلاثي هذا.. لأنه لا يملك سواه.

* * *

"بس قبل ما أحكيلك، عايز أقولك إن دي مش أول حادثة تحصل في السيرك"، يقولها (سليمان عاشور سليمان) وهو يقرب جهاز التسجيل من فمه.

فتسأله (نهال): "أنا تقريبًا سمعت عن حوادث كتير".

– "أنا أكتر حادثة فاكرها كانت يوم 12 أكتوبر 72، فاكر اليوم بالظبط كأنه محفور في دماغي، المهم.. الأسد سلطان هجم ساعتها على محمد الحلو الله

يرحمه، واللي خلاني فاكر برضه إن كان في كاتب موجود وكتب عن اللي حصل، اسمه تقريبًا (نجيب إدريس) أو (يوسف الحكيم) حاجة زي كده.

تضحك (نمال) وتقول: "يعني افتكرت اليوم والسنة ونسيت اسم الكاتب؟ كان اسمه (يوسف إدريس)، وكتب مقال اسمه (أنا سلطان قانون الوجود).

– "ممكن".

= "أنا أسمع إن عندكم في السيرك حوالي 25 أسد ونمر، فلما مش بتكفوهم لحم جاموس وبقر بتدبحوا حمير".

– "أيوه فعلًا".

= "وأعرف.. تقريبًا يعني.. إن لحم الحمير فيه نسبة سكر، فلحمه بيكون أقرب للحم البني آدم، ومن كتر ما الأسد أو النمر ياكله بيشتهي لحم الإنسان".

– "يمكن هو ده السبب اللي خلى النمر (محسن) يمد إيده من بين القضبان ويهبش رجلي، ويضطروا يبتروها زي ما انتي شايفة".

* * *

20 فبراير الساعة الواحدة والربع ومن العربة رقم 11، بدأت النار الجائعة في التهام عربات القطار، شاكرة هيكله الحديدي الذي سجن بين ضلوعه كل هذا اللحم، لا تفرق ما بين كبير وصغير.. ولا تلتفت إلى هؤلاء الذين يقفزون من العربات ليتهشموا على الطريق، أو يغرقوا في (ترعة الإبراهيمية)، بالرغم من كثرة العدد، ولكنها لا تستغل حرية الاختيار، وتحاول أن تضيف التفحم كصفة مشتركة، بخلاف الجوع، بين راكبي القطار.

وبعد 18 كم، وعند منحنى أبو عمار، رأى مساعد السائق الحريق، وبدأت رحلة إطفاء النيران، وبكى الجميع عندما شاهد منظر الأب والابن المتفحمين، والأب يحاول تمرير طفله من بين القضبان، الصورة التي كانت ستهز العالم بعد ذلك، لو سمح بنشرها.

من معلومات الحادث: التعرف على 195 جثة، وتثبيت رقم الضحايا عند

الرقم (375) بقرار حازم وصارم.

ولكن المعلومة المؤكدة: أن الجوعى لن يشبعوا هذا العام أيضًا.

* * *

تنتظر (نهال) حتى ينصرف آخر من حضروا للاطمئنان على عم (سليمان عاشور سليمان)، قبل أن تبتسم وتقول: "طيبين أوي المصريين دول، بعد إذنك بقى عشان ألحق أودي المقال".

يستوقفها ويقول: "بصي يا بنتي، أنا هاقولك على الحقيقة، مش عارف استريحتلك ليه؟ بس دي بيني وبينك".

تعاود الجلوس، وتسأل: "اتفقنا".

ينظر إلى السقف في حزن وهو يقول: "اللي حصل ليلتها إني كنت جعان أوي، أكتر من أي ليلة عدت عليا، إنتي عارفة إن البرد بيجوَّع، وجوع السنين بيذل... المهم.. بعد ما وزعت لحمة الحمير على الأسود والنمور، قلت لنفسي إن مفيش مشكلة لو أخدت حتة لحمة صغيرة كلتها".

تقاطعه في دهشة: "لحمة حمير؟!! تاكل لحمة حمير؟؟؟!!!!!".

تعبر دمعة حواجز عينيه وهو يقول: "أنا يا بنتي لو جربت طعم الشبع مرة كنت قرفت إني آكل لحمة حمير".

تمط شفتيها في أسى، وتقول: "أنا آسفة.. كمل".

يهز كتفيه ويكمل: "ولا حاجة.. حاولت أخد حتة لحمة.. قام محسن هجم عليا وعورني زي ما انتي عرفتي... بس أنا اضطريت أقول إنه هو اللي هبش رجلي من بين القضبان.. عشان ما يطردونيش من السيرك، اللي أنا أصلًا مش عارف إذا كان هيرضوا يشغلوني وأنا في حالتي دي ولا لأ".

تتجه للباب لتنصرف، ثم تستدير وتسأله: "تشتغل تاني في السيرك؟ إنت مش خايف؟ طب هتتعامل إزاي مع النمر محسن مثلًا؟ إنت مكرهتش الحيوانات؟".

يبتسم في أسى ويقول: "يا بنتي.. ماهو برضه كان جعان".

فول بالزيت الحار

(إلى هذا البيت: الذي عاصرت فيه تجربة موت... بشر... وشجر... ومكان).

– المكان فايد، بيت بجوار شريط السكة الحديد، عند اللوحة المكتوب عليها (34)، البيت تحيط به حديقة صغيرة بها أشجار ليمون ومانجو (بالطبع نحن في الإسماعلية)، البيت مكون من طابق واحد، يعلوه سطح يستخدم استخدامًا صعيديًّا صرفًا.. (عشة، فرن طيني).

الزمان: وقت السحور.

يدخل (أنا) إلى الحديقة وفي يده طبق الفول، يعبر الحديقة ويملأ رئتيه من نسيم الفجر المسالم، ويرسم في عينيه الأشجار المزدهرة، والمانجو الذي ينتوي الانتحار بالسقوط من على شجره.

يدخل (أنا) إلى البيت، الجميع مازال نائمًا. سيعد الطعام ثم يوقظهم، وبالفعل دخل ووضع طبق الفول، ثم صب عليه الكثير من الزيت الحار، ثم عصر ليمونة كاملة؛ لأن ابنه الأكبر يحب الليمون الكثير، ولم ينسَ بعد أن وضع الملح والشطة أن يضع الكمون؛ لأن ابنته دائمًا تقول: "الفول يحب الكمون"، ثم وضع حزمة الجرجير تحت الصنبور قليلًا، ثم ضربه على ظهر يده فتناثرت المياه، وكاد أن يخرج، ولكنه تذكر أنه لم يضع الطحينة، ففعل.

يدخل (أنا) غرفة الطعام، ويرفع صوت الراديو قليلًا.. لينساب صوت عبد الباسط.. لتعبق سورة (مريم) الغرفة، أفضل من عود بخور مغروس في القلب: "قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا".

يخرج الطبلية من تحت السرير، وينادي زوجته...

يضع الفول على الطبلية، وينادي ابنه...

يضع طبق الجرجير... وأيضًا طبق الكنافة البلدي... وينادي ابنته......

لا أحد يرد..

يدخل (أنا) كل الغرف، وينادي، لا يجاوبه أحد، تنهيداته الحارة التي لا تستطيع الجدران احتواءها فترتد إليه، بالحقيقة التي يتناسها وينساها.. أنها.. هو فقط... أنه أنا وليس نحن.

يخرج (أنا) من الغرف ليرى طبق الفول، لا يوجد به سوى بعض حبات الفول التعسة وعيدان جرجير خالية من الأوراق.

يخرج (أنا) إلى الحديقة ليراها على حقيقتها... حقيقتها الصفراء...

يخرج (أنا) ليدرك أنه يرى شروق... الخريف..... وحيدًا.

أكتوبر **2005**

برتقان بدمه

يردد الطائف في مروره المعتاد بعد الغروب: "حد له حبيب واحشه؟ حد له ذكرى حلوة فاتته؟".

– المكان فايد، بيت بجوار شريط السكة الحديد، عند اللوحة المكتوب عليها (**34**)، البيت تحيط به حديقة صغيرة بها أشجار ليمون ومانجو (بالطبع نحن في الإسماعلية)، البيت مكون من طابق واحد، يعلوه سطح يستخدم استخدامًا صعيديًا صرفًا.. (عشة، فرن طيني).

الزمان: وقت السحور.

يقطع شرود (السوهاجي) اقتراب حفيده منه، فتتشقق ملامح وجهه الصلبة لتستقبل ابتسامة حفيده في لين.

يقول الحفيد وهو يمد يده ببرتقالة لجده: "بصوا يا جدو البروتقانة دي... قشرها لقيتها حمرا من جوة".

بدهشةٍ مصطنعة يجيب الجد: "بجد؟! يمكن تكون متعورة؟ .

يتأمل الطفل البرتقالة قبل أن يقول: "وإيه اللي هيعورها يا جدو؟".

– "يمكن عصفورة".

= "يا سلام! هو العصفورة ممكن تعور حد؟ دي صغننة خالص".

– "تحب تعرف البورتقان أبو دم ده أصله إيه؟".

= "بس هنلحق السحور؟".

"احبب من شئت فإنك مفارقه".

دائمًا نتذكر أحباءنا المنسيين عندما يقترب الخطر مرتديًا عباءته، الهول يجعلنا أطفالًا فزعين، نبحث عن طرف ثوب لحبيب نتعلق به.

قشة الحياة التى تتلاطمها الأمواج، لا يكفى نذر الهول ولا يدع فسحة من

الوقت للتريث.. للإشباع.. يأتي كالريح، يقتلع الطمأنينة... ومن ثم يترك الحنين.

حنين.

حنين.

حنين.. حنين الاشتياق يثبت بيذرته التي طالما حرمتها على أحشاء قلبك.

ترى ماذا استفدت الآن من وجهك السوهاجي الصارم.

من بين أزيز الطائرات تمر، خلال دوي القنابل تعبر، الجثث تتساقط هناك.. وهنا.

لا وقت للدهشة.

سيحدثون كثيرًا عن هذا اليوم الخامس، سيطلقون عليه (نكسة)؛ لأنهم استغلوا (نكبة) لخسارةٍ أخرى... سيقولون إنه يوم الهزيمة.

وربما ستسميه أنت أيضًا هكذا، لكن لأسبابٍ أخرى.

يقف (السوهاجي) أمام بيته الذي كان جميلًا...

لا سور..

لا أبواب..

لا شجر..

لا (حنونة)..

"حد له حبيب واحشه؟ نفسه يشوفه؟ حد له ذكرى حلوة فاتته؟ عايزها تاني؟"..

"حنونة؟!.. اسمك حنونة؟!".

ربما بدأت دهشته من اسمها، لكنها تتذكر مرة أنه أخبرها أن اسمها جميل..

= "حنونة؟!".

– "آه".

= "حنونة؟! ولا حنينة؟!".

طالما تمنت أن يداعبها هكذا، لكن مشاعره أكثر جفافًا من ملامحه الصارمة

التي ربما استمدها من اسمه..

= "السوهاجي؟!.. اسمك السوهاجي؟!".

– (بهدوء أقرب للبرود).. "أيوه.. هما اللي سموني كده".

= (بمرحٍ) "سموك ولسه عايش؟!".

ضحكتْ لدعابتها، وظلت طوال الأسبوع تحاول أن تشرحها له.

يومًا ما شعرت بالحنان في لمسةٍ من كفه الخشن... سارع بإبعاد كفه.

"حد له حبيب واحشه؟".

بالرداء الأبيض، ما أشبه الليلة بالبارحة، من الزفاف إلى القبر، مر العمر سريعًا.. في تأجيل.

غدًا سأخبرها أني أحبها.

بعد غد.. سأقولها لفظًا كما احتاجت.

الأسبوع القادم.. سأحتضنها بحنانٍ.. طالما اشتاقت.

الشهر القادم.. سنمارس الحب بوحشية مجانينه.

لكن هذا الأيام التالية لا تأتيَ أبدًا في حياة (السوهاجي).

لم يحملها يوم زفافهما، ولكن حملها (عبد) كما تقتضي تقاليد بلدهم القديمة التي صارت بعيدة الآن.

لذا أصر أن يحملها إلى مثواها، في بلدهم الجديدة التي حولها العدوان إلى أطلال.

"هو كنت هخسر إيه لو حسستها.. لو قلتلها؟!".

"حد له ذكرى حلوة فاتته؟".

"حنونة بتحبك يا سوهاجي.. افهم بقى.. مش هتخسر حاجة من رجولتك.. لو حبتني". كانت تتمنى دومًا أن تلقيها في وجهه، ولكنها كانت تخشاه، تخشى غضبه، لكنها اليوم لن تخشى شيئًا، فلن تخسر شيئًا إذا ما أضيف العبوس إلى صرامة الملامح.

"5 يونيو 67.. هيبقى تاريخ مهم... هاجبره"، تبتسم.. تضحك.. تشغل

المذياع.. تتردد في أرجاء الغرفة أغنية فوزي: "حبيبي وعينيا.. لو في وسط مية".

تضحك..

"لو في وسط مية؟! إذا كان واحدة ومش شايفها".

تتفاعل مع الأغنية، وتطوح حذاءيها بعيدًا... وترقص.. وترقص... تحاول تذكر أغنية قديمة في بلدها تشبِّه شفتي المحبوبة بفصيَّ برتقال.

تبتسم عندما تتذكر بقية الأغنية.

تضحك.

لكن الغارة.. لا تضحك.

يردد الطائف في مروره المعتاد بعد الغروب: "حد له حبيب واحشه؟ حد له ذكرى حلوة فاتته؟".

هذا الصباح تذكر أغنية البرتقال، وتمنى لو كان في فصل الشتاء ليحضر لها برتقالًا.. ولكن واضح أن كل أمانيه تذهب سدى هذا اليوم... مثلما تمنى أن يقولها لها اليوم.

يقترب الطائف منه في مروره المعتاد على المقابر بعد الغروب: "حد له حبيب واحشه؟ حد له ذكرى حلوة فاتته؟".

ينظر للطائف في جمود.

= "أمرك غريب.. كتير ماتو من الخوف لما شافوني.. قليلين قوي اللي اتجرأوا واتمنوا".

– "أنا مش عايز منك حاجة".

يبتسم ويضع جرابه الأسود بجواره وهو يجلس، وبملامح منهكة شققت جفافها ابتسامة حزينة: "تعرف؟!".

– "معرفش.. لا أعرف.. ولا عرفت".

= "كتير بيفتكروني.. الموت".

– "الموت؟!".

= "مش بقولهم على حبايبهم اللى راحوا؟!".

- "امال إنت مين؟".

= "أنا لو عرفت سري.. مش هظهر لحد تاني، فشوف كام واحد هيعيش تعيس من بعدي.. والناس محتاجاني جدًا اليومين دول".

- "أو يعيشو تعسا بيك".

= "قصدك إيه؟!".

- "إنت أقسى من الموت.. وأمر من الفراق".

يبدو عليه الاهتمام.. يحرك أجزاء جسده فتصدر صريرًا عاليًا كصوت البوم: "إزاي؟! وأنا بارجع لهم لحظات مع الناس اللي بيحبوهم؟ لحظات فاتتهم".

- "ويرجعوا يقاسوا لحظة الفراق تاني... ويموتوا من جديد".

= "بس فيه اللي مستعد يدفع عمره كله.. عشان لحظة زي كده... أنا تاجر سعادة".

- "إنت تاجر وهم مش تاجر سعادة... صدقني، الناس عايزة حقيقة حلوة.. مش وهم.. مهما داقوا مرارتها.. يبقو نفسهم يدوقوا حلاوتها".

يتنهد بحرارة: "هو أنا كده كده كان نفسي أبوح بسري لحد.. عشان ما أظهرش تاني، كل لحظات السعادة اللي جبتها للناس لا خلتني سعيد.. ولا عيشتهم سعدا، بعد وهم السعادة.. زي بعد الفراق... ما بيتبقاش غير الندم... والحسرة".

- "قولي على سرك؟".

تبدأ الرياح في العواء، ويشرع البرق في التناطح مع الرعد.

= "هقولك على السر بالهمس... لازم يتقال بالهمس.. وهسيب لك حاجتين".

(يناوله برتقالة) دي واحدة.

- "طب والتانية؟!".

= "مش عارف.. هتكون لحظة حقيقة ولا وهم".

يقترب منه والهواء يطير عباءته، يميل على أذن (السوهاجي)، يهمس، ينظر له (السوهاجي) بدهشة.. يختفي (الطائف) بين ثنيات عباءته.

يصرخ (السوهاجي) من الألم، تقبض يده بقوة على البرتقالة، يسيل عصيرها على القبر، يهتز التراب، من بين دموعه ينظر إلى تربة القبر التي ترتعش.. يرى يدها تخرج من القبر.. تتجمد صرخته في حلقه، تسقط البرتقالة من يده.. يمسك يد (حنونة)..

يتردد..

يتردد.. يهمس بين زئير الريح: "بحبك".

تقبض اليد على كفه، يصرخ، تختلط دموعه بالبرتقالة وعصيرها وبذرها.

* * *

"وهناك، مطرح ما وقع بذر البرتقان، نبتت شجرة كل برتقالها بدمه"، يقولها الجد لحفيده الذي ينظر إليه مشدوهًا، ينقل بصره بين جده والبرتقالة التي في يده... ثم يلقيها: "وعايزني بعد كده أكل البرتقان ده؟!! يعععععع".

يضحك الجد: "خلاص بلاش.. اسبقني عشان نتسحر.. ونصوم بكرة".

ينطلق الحفيد بين أشجار الحديقة.. يتابعه الجد مبتسمًا... ينظر لكفه المشوهة.

منذ فترة.. كفو عن التساؤل حول عزوفه عن المقابر.

2009/5/5

ابن موت

(بالصعيدي)

تغالب خوفها، وتتقدم حتى نافذة القطار التي يطل منها وتقول: "لا إله إلا الله، يا شيخ وارث".

"وتر مشدود حزين على ربابة بتبكي...

أجيب جلب منين يطاوعني أحكي".

الزمان: منتصف الستينيات.

المكان: بعد ما يقرب من ثماني ساعات سفر في قطار درجة ثالثة، وبعد أن يدخل محافظة سوهاج (برج الزغاليل) تهبط منه في محطة (جرجا)، وتنزل على سلالم المحطة الكثيرة، وتختار من بين وسيلتي الانتقال الوحيدتين... (الحنطور) أو (عربية فورد). يتحدد اختيارك لها طبقـًا للطريق المؤدي إلى قريتك أو نجعك؛ فإذا كنت ذاهبًا إلى (نجع الجيراو) مثلاً فالـ(حنطور) هو الأنسب، أما إذا كنت ذاهبًا إلى ناحية (بيت داوود) أو (بيت علام) فالأنسب هي (العربية الفورد). تركب السيارة المنطلقة إلى قرية (القرعان) أو بلهجة أهلها (الجورعان)، وقبل أن تصل إلى هناك تتوقف عند قرية (المحاسنة) لتسلم الأمانة المبعوثة معك، وبعدها تصل إلى القرية: "وجف هنا يا اسطى عند الجسر".

"والساجية لسه بتدور والبوم عليه بينعج...

والحزن فينا مجدور. ومن العيشة بتزهج".

ينزل الشيخ (وارث) من السيارة ويعبر الجسر، ثم يسير على الطريق الترابي الموازي للحقول، يملأ رئتيه بنسمات الصباح الوليدة الممزوجة برائحة المانجو، والتين، يتوقف قليلًا أمام حقلهم يراقب أخاه من ظهره وهو يدير الطنبور، قبل أن يقول مازحًا: "إنت يا فلاح تجعد تفلح وتزرع، وأجي أنا اللفندي وأكل

على الجاهز".

يجيبه (راضي) وهو يستدير: "ما عشان كده أنا زارع الغيط برسيم".

ثم يترك (راضي) الطنبور ويقفز من فوق (القناية) حتى يصل إلى أخيه، ويحتضنه.

إذا رأيتهم مع بعضهم البعض لا تصدق أنهما أخوان؛ فـ(راضي) يتمتع ببنيان قوي وبشرة سمراء وملامح خشنة، وقد تشققت قدماه ويداه من عمل الحقل الشاق، بينما أخوه الأصغر (وارث) يتمتع بوسامة هادئة، وبشرة بيضاء مشوبة بالحمرة.

كان (راضي) يحب أخاه (وارث) حبًا جمًّا، ويعتبره مصدر فخر له ولأهله. وكان معظم أهل القرية يحبون الشيخ (وارث) وينتظرون أن ينهي دراسته في الأزهر حتى يحل محل الشيخ (عبادي) شيخ الجامع، وبمقدار ما كانوا يحبون (وارث) كان البعض يخاف من التعامل مع (راضي) بسبب شائعة ما.

(عجبي على ناس لا صامو ولا صلوا...

ولما جت لهم عناية المولي عدوا البحر ما اتبلوا).

يحمل (راضي) حقيبة أخيه (وارث) ويسيران معــًا تجاه بيته، لكن (وارث) يتوقف ويقول لأخيه: "تعال نمشي من على جسر الجسيس، ونجبل على الجامع نشوف عملوا فيه إيه؟".

= "حاضر، بس أمك والبنتة هيزعلوا لو اتخبروا إنك جيت، وبدل ما تروّح على طول رحت في مشوار الأول".

– "سامحني، بس عايز أشوف خلصوا جد إيه في البنا؟ وبالمرة نسلم على عم (يسيف أبو إسماعين).

= "ما خبرشي إنت كربان كده ليه؟ وبعدين إنت برضه عايز تطمن على الجامع؟ ولا على (تونس) بنته... على كل حال أدينا وصلنا أهوه".

كانا قد وصلا إلى ساحة بين المنازل الطينية المسقفة بعروق الخشب، وكان العمال يستريحون من أعمال البناء، فسلم عليهم (راضي): "سلام عليكم يا

رجالة".

"وعليكم السلام يا راضي".

= "ده الشيخ (وارث) خوي.. شيخ الجامع اللي إنتوا شغالين فيه ده".

يميل (وارث) على (راضي) ويقول له: "روح عيط على عمك (يوسف) لو موجود خليه يطب يجف معانا إحنا والعمال شوي".

يبتسم (راضي) ويقول: "يوسف؟؟!! خلاص نسيت لغوتنا؟ اسمه (ييسيف).. لكن حاضر يا عم الشيخ".

يراقب (وارث) (راضي) وهو يدخل البيت ثم يخرج بعد قليل، حاملًا صينية عليها أكواب من عصير الليمون، فيقول له: خبر إيه؟ فينه؟

يجاوبه (راضي) وهو يناوله كوبًا: "ماالجتهوش، اشرب.. اشربوا يا رجالة لامموناتة، تطري على جلوبكم".

يتناول أحد العمال كوبًا ويقول لـــ(راضي): "الشيخ (وارث) أخوك ياض يا راضي؟ أنا مش مصدج".

(راضي): "ليه يا عم المستعجب؟".

– "أنا خابر بجى... أصلك إنت أسود كيف الخشب المحروج ووشك يجطع الخميرة من البيت، وهو أبيض ومحلو كده.. خسارة فيكم يا ولد (عسران)، انتوا داخل عليكم دم من البحاروة؟".

اندفع (راضي) تجاه (وارث) الذي أخذ يسعل بشدة ووقع منه الكوب، فأحاطه بذراعه، والتفت إلى العامل الذي كان يكلمه، وقال له: "نبرت ببوز أهلك اللي كيف بوز الجرد ده".

يقول العامل وهو يراقبهم وهم يبتعدون: "أنا إياك برضك؟!!".

بيتهم: يزين جداره الخارجي رسم لعبارة وجمل وبندقية، وبينهم عبارات الحج المعتادة، ويغلق مدخل البيت باب خشبي عملاق. أما بالداخل فالطابق الأرضي يفصل بين قسميه حائط طيني صغير به فتحة بمثابة باب، في النصف الأمامي وعلى يمين الباب كانت هناك غرفة نوم، وعلى يساره طلبمة ماء، تليها

المصطبة، التي تقع خلفها الرحاية. ويجاورها (الكانون)، بينما يلي الغرفة السلم وخلفه مساحة صغيرة بها حمار وجاموسة. أما القسم الثاني.. فكان هناك على اليمين برج حمام يليه مساحة خالية تستخدم للاستحمام باستخدام (الطشت). يسارًا كانت هناك غرفة نوم أخرى، يليها حمام. أما الدور الثاني فبه غرفة نوم و(عشة) للدواجن، و(فرن طيني)، وبقية السطح يستخدم في تخزين (الوجيد) الذي يستخدم كوقود للـ(فرن).

"كل يوم عليا يعدي.. كل ليل مني يفوت...

الفرح ما عندي يهدى.. والحلم مني يموت".

يصلا إلى منزلهما، يجذب (راضي) الحبل المتدلي من ثقب الباب الخشبي الضخم، ليرتفع المزلاج من الداخل، وينفتح الباب.

ينبح الكلب في البداية، ولكن عندما يجد أنهما من أهل الدار يصمت ويتجه إلى ما أسفل بئر السلم العالي ليجلس بجوار الجاموسة التي كانت تقوم بحلبها سيدة. والتي بدورها تستدير لترى القادم فتنفرج أساريرها، وتقول: "حمد لله على السلامة يا خوي.. معلش مش هاجدر أجوم أسلم عليك.. أنا ما صدجت ما حننتها عشان أحلبها".

يبتسم (وارث) ويقول: "ولا يهمك يا (موزة)، بس أول خشم يدخل فيه الرايب اللي هتعمليه.. يكون خشمي".

ثم يلتفت حوله ويقول: "أمال فين أمي وأختي (دهبة)؟".

تشير بيدها الحرة إلى أعلى، وتقول: "لما عرفوا إنك جاي، بيدحولك جوز حمام ويشوفوا لو البح ينفع يدبحوا منه حاجة، واللي إنت جولتلي بيجولوا عليها إيه في مصر؟ بطة؟!... صح؟ أعيط لك عليهم عشان يطبوا؟".

يجاوبها وهو يتجه إلى السلم: "لا لا.. أنا اللي هاركب.. وأسلم عليهم فوج".

يراقب (راضي) شقيقه وهو يصعد برشاقة، ثم يلتفت إلى أخته ويقول:

"جوز حمام؟!! وأنا اللي ريحي نشف على فرد".

في الأعلي يغرق (وراث) في سيل من القبلات والأحضان، قبل أن تقول والدته: "أنا بجى عملالك جوز حمام وديك... ومصبوبة وتجلية اللي إنت بتحبها".

يبتسم ويقول: "تعرفي يا أماي أنا نفسي في إيه؟ نفسي ناكل عصيدة كلنا بالليل..".

يقطع كلامه سعاله الشديد، فتتحسس والدته جبهته لتجدها مشتعلة، وتقول: "إنت مولع نار يا ضنايا... تحسدت ولا إيه".

تتمتم شقيقته: "ربنا يكفيك شر عين (ضوار) الحمرا".

"الليل لمايطول وبالفجر علينا يستكتر

مش هنجول غير إنه نهارنا هيتأخر".

تُجلس الأم الشيخ (وارث) بجوارها على (المصطبة)، وتقول: "يا حبيبي يا وليدي.. أنت سخننان جوي".

يبتسم (راضي) الجالس على الدكة الخشبية، ويقول: "ماشية معاك يا أبو عمو؛ أنا دك النهار وجعت من فوج الحمارة... ومحدش رش مية على الحمارة مكان الوجعة".

تبتسم (موزة) وتقول: "اتجدعن يا شيخ (وارث)، عشان تخطب لك (روحية) بت (مخلوف)".

ينظر (راضي) لـــ(وارث) في ضيق ويقول: "هو مش عايز يتجوز (تونس)؟!".

تمط الأم شفتيها وتقول: "(تونس) بنت يسيف...؟!! إنت نسيت أصلهم إيه؟ دول من ولود العبيد..؟ تتجوز كيف الشيخ (وارث)؟؟ إنت لو عايزها ممكن، أما الشيخ وارث يتجوز (روحية)".

يتمتم (راضي) بصوت غير مسموع: "حتى دي؟!!".

تلتفت الأم إلى بناتها وتقول: "إجلوا لأخوكم كحروتين في الطاجن. وهاتوا

شوية رايب.. يريح بيهم لحد ما الغدا يخلص".

وبالفعل جهزوا الإفطار وجلس الجميع حول (الطبلية) ليأكلوا، ثم دخل كل من (وارث) و(راضي) لينالوا قسطًا من النوم، لكن النوم لم يحصل على تأشيرة مرور لذهن (وارث)، والحمى زادت وطأة عليه، وأخذ في التقلب على سريره، ثم إلى حافته ليتقيأ على الأرض، ينهض (راضي) لينادي نساء الدار لينظفوا الغرفة.

"بيجولوا الفرح ليه ناسه.. وكنا فاكرينا أهله.

الجوح جه عليه داسه... من غير ما يتداهله".

"مش جادر أكل.. هملوني أنام"، يقولها الشيخ (وارث) متوجعًا على فراش مرضه.

تقول له الأم: "عشان خاطري يا وليدي.. إنت بجالك تلات تيام ما تدوجت طعم ازاد".

تقول (موزة): "لازم يروح للحكيم في المركز".

وتؤكد (د.ية) على كلامها بقولها: "أيوه.. جلنا هنصبر يومين عشان يروج.. وهو عدى تلات تيام ومطابشي".

تقول الأم لــ(راضي): "سند خوك لحد المصطبة بره عشان ياكل معانا لجمة".

يقوم (وارث) بالفعل مستندًا على أخيه، حتى يصلا إلى (الطبلية) الموضوعة على المصطبة. يجلس (وارث) ولا يستطيع أن يأكل، فتقول الأم: "يا ابني كل... ده حاجة خفيفة.. دي العصيدة اللي إنت بتحبها... اتغصب على نفسك وكل أي لجمة".

ومع أول جرعة تدخل جوفه تنفجر ماسورة من القيء، وهو لايكف عن الإرتعاش.

"مش جادر.. رجعوني لفرشتي".

يحمله شقيقه حملًا حتى السرير ويرقده.

"تعبتوني يا بووووي".. عند هذه الجملة المتألمة، لم يتمالك (راضي) نفسه وأخذ في البكاء وهو يقول: "يا حبيبي يا خوي... يشفيك ويصيبني أنا".

وتأخذ الأم في البكاء، والشقيقات في النواح، فيصرخ فيهم (راضي): "الشيخ (وارث) لسه حي... بتعددوا على إيه؟.. اطلعوا بره.. أنا هأجعد مع خويا لحد ما الفجر يشجشج.. وإنشاله أشيله على كتفي وأروح بيه المركز.. أخرجوا".

"ولو سعدت وبكي أحبابي جولي أعيش إزاي؟

وإن عجزت وراح شبابي يبجى الموت

جاي".

"فاكر يا راضي أيام زمان؟!".

– "فاكر يا خوي.. فاكر إنت؟ وإحنا صغار.. وبنلعب حدا الساجية والنخل؟ لما السلاعة دخلت في رجلي؟".

= "أيوة.. ولما رجعنا البيت وأمك جالت لنا حطوا على ، كان الجرح بصلة مشوية.. ومكنشي حدانا بصل... وروحت لعمك (عبد المهيمن) عشان أجيب منه بصل.. فجال لي انجل الوجيد لفوج السطح اللاوال".

يضحك (راضي) ويقول: "آه.. ربنا يسامحه بجي... فاكر لما أنت كنت في الكتاب.. وسيدنا الشيخ (جاد) ضربك جامد.. وجيت اشتكيت لأبونا الله يرحمه، وما رضيش يروح يتخانج مع الشيخ؟".

يبتسم (وارث) في إنهاك: "آه... جمت إنت جلت للشيخ: عنك إنت أروح أطحنلك... وجمت دلجت نص شوال الدجيج وحطيت مطرحه تراب... والشيخ بجي مستغرب على طعم الأكل ومش خابر السبب".

يتجرع (وارث) شربة ماء قبل أن يكمل: "ولا يوم فرح (هنادي) لما كنت أنا نايم.. وجم حطوا حنة في يدي.. وأنا اجلج من النوم ولاجيها في يدي.. أفتكرها طين.. فمسحتها في المخدة".

يضحكان.. قبل أن يقطب (وارث) جبينه ويقول: "بس تعرف؟ كنت كل ما أجلج من النوم أشوف حاجة غريبة جوي".

– "إيه يا خوي؟".

= كل ما أفتح عيني أشوف في آخر الأوضة ست نصها التحتاني فرس.. جاية عليا.. فأجفل عيني من الخوف وافتحها.. فلاجيها لسه في أول الأوضة وجاية ناحيتي".

– "ست نصها فرس؟!! إنت خابر؟ بيجولوا إني دي (ضرار) أم عين حمرا حسادة... بيجولوا البيت اللي تخشه... فيه واحد هيموت محسود".

= "طب ساكت.. واجفل خاشمك... إيه التخاريف دي؟ زي اللي بيجولوا.. لما يكون حد تعبان جوي... والكلاب تنبح... لازم يسكتوها عشان بتكون الروح طالعة... راضي يا ابن أمي سيبك من الكلام ده".

"ضي الفجر بيغسل هموم الناس كولاها.

وحدانا بيجلب على الفرحة ماجورها".

مع نسيم الفجر البارد يذهب (راضي) ليتوضأ، ولكنه يقطع وضوءه بسبب نباح الكلب الأشبه بالبكاء المر، فيجري ليطرده من الدار. ويتجه لغرفة أخيه، وتلحقه أمه وإخوته اللواتي يتجمدن في مكانهن مع صرخة (راضي)، الذي يخرج من غرفة أخيه وهو يبكي.

"ولدي راح يا راضي؟!" تلفظها الأم مع دموعها، وتجري هي و(دهبة) إلى غرفة (وارث).. بينما تنظر (موزة) بغل لـ(راضي) وتقول: "جتلته؟!".

– "إنت اتخبطي في دماغك ولا إيه؟ أجتل أخوي؟! حبيبي؟!".

= "أيوه جتلته... بعينك الحسادة دي".

– "أنا؟!!!!".

= "أيوه، البلد كلها عارفة عينك الحمرا اللي كيف عين ضرار دي، البلد كلها بتخاف تعاملك.. أو توريك أي خير يجيلها".

– "أنا أحسد خوي؟ ليه؟!! وعلى إيه؟!!".

= "على حلاوته، على علمه، على البت اللي أمك كانت عايزة تجوزهاله.. وهي مش طالعة من عينك... عينك".

مع كل كلمة كان يتراجع.. ويتراجع.. حتى التصق بالجدار، وأخذ في

البكاء والتشنج... وقعت عيناه على سكين صغير... فنفذ قراره.

"من روحي وف جلبي وعلى عيني.

يا خوي يا سندي يا حاميني

لو على برك ما في مي

عـــدي الــبـــحـــر تــلاجـــيـــني

خد ميتي حمرا شوي؟!!

حجك علي مهي دموع عيني".

لا تقترب من المقابر.. خاصة ليلًا... فربما تقابله.... تقابل من؟ الحدوتة التي تتوارث بين أهل هذه القرية، عن هذا العفريت الذي فقأ عينيه حتى لا يحسد ويقتل حدًا بعد أخيه... يقولون أنه ما يزال هناك يبكي بجوار قبر أخيه. فلا تقترب.

١٩-١٠-٢٠٠٦

الدرويش والسالومي

يدخل ساحتها كالمأخوذ، يفرد جناحيه وتنورته ويدور.. يدور.. ويحلّق في سمائها الرحبة. بينما تدور هي الأرض لتغرس ثباها في ثنيات قلبه. تتساقط لفائف تنورته واحدة تلو الأخرى. ومع كل تساقط له يسقط ثوب من أثوابها السبعة.

مع كل ثوب يبرق من أسفله حسنها ويحل خوف في قلبه.

"مع الأمل.. مغروس القلق في قلبي".

تتساقط اللفائف والأثواب والحواجز، ومع تساقط ثوبها الأخير يظهر سيفها.

تفصل رأسه ليطير حتى حدودها، فتلتقط الرأس وتمنحه قبلة الرضا.

– "هكذا أقبلها".

= "وهكذا أتـــقبلها".